

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم
كلية الأدب العربي والفنون
قسم الدراسات اللغوية



التشبيه بين البلاغة واللسانيات

مذكرة تخرج مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللسانيات العربية

بإشراف الأستاذ :
بويش منصور

من إعداد الطالب :
عولة محمد

السنة الجامعية : 2018 - 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

- أهدي ثمرة عملي إلى روح أبي رحمة الله عليه وإلى أمي
الغالية حفظها الله ورعاها وإلى إخوتي سفيان و خديجة وماريا،
وزوجتي أم أولادي علي و عبدالنور و خالد نور اليقين، وابنت أختي
ريهام وإلى كل عائلة عولة و كل من أمدني بالمساعدة وإلى كل
أصدقائي وزملائي الذين رافقوني طيلة مشواري الدراسي، ولا
يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لجميع أساتذة ودكاترة قسم
اللغة و الأدب العربي بجامعة خروبة أطل الله في عمرهم،
والدكتور المشرف بويش منصور والمشرفين المرافقين له.

مقدمة

- بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

- إن التشبيه أسلوب من أساليب البيان، قديم قدم التعبير، وذلك لأنه أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة، لذا كثر في كلام العرب عامة وفي القرآن الكريم خاصة وحتى في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا كان لزاماً إعادة قراءة التراث البلاغي مرة أخرى الذي يسهم في تقديم نتائج جديدة تخص قضايا البلاغة العربية، الأمر الذي دفعني إلى البحث عن هذه النتائج التي تخص الفنون البلاغية، وذلك بالاستفادة من الدرس الحديث، ويأتي موضوع هذا البحث لبيان موقف الدارسين المحدثين من قضايا البلاغة العربية القديمة في ضوء النظريات اللسانية ومن موضوعات الدرس البلاغي، الذي أردت فيه أن أقف على خصوصية التحليل البلاغي للصورة التشبيهية في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، ومن هنا نطرح الإشكال التالي: **كيف فهم التشبيه عند البلاغيين العرب القدامى وما الخصوصية التي يتمتع بها المحلل البلاغي في تحليله للتشبيه بناء على مقولات النظرية التوليدية التحويلية التي أتى بها تشومسكي: وما أهمية "البنية العميقة" في التحليلات البلاغية؟.**

ولبيان ذلك وضعت خطة مكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة.

- حاولت في الفصل الأول أن أعيد قراءة التراث الإسلامي وأن أعيد قراءة آراء البلاغيين القدامى في مفهومهم للتشبيه ابتداء من أبي عبيدة في كتابه "مجاز القرآن"، وصولاً إلى الخطيب القزويني في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة".

- وأما الفصل الثاني قسمته إلى مبحثين، الأول تناولت فيه تعريفاً بالنظرية التوليدية التحويلية التي أرسى معالمها تشومسكي أما المبحث الثاني فعالجت فيه التحليل البلاغي من الوجهة التحويلية وذلك بإبراز مقولاته، من خلال مدونة محمد عبد المطلب، "البلاغة العربية، قراءة أخرى" الذي استفاد من المنهج التحويلي في تقديم قراءاته الجديدة للمدونة البلاغية، واخترت من ذلك قراءة لفن التشبيه.

- واعتمدت في هذا البحث على مصادر شكلت المحور الأساسي للموضوع مثل المكتبة البلاغية القديمة، والتي تعتبر أمهات المصادر في الدرس البلاغي عند العرب.

وكل بحث واجهتني عدة صعوبات، أهمها قلة الدراسات التي تهتم بقراءة التركيب التشبيهي قراءة جديدة بتطبيق النظرية التوليدية والتحويلية، إلى جانب ضيق الوقت بالنظر إلى هذا الموضوع الكبير في معالجة مثل هذه الموضوعات المهمة التي تسهم في إعادة قراءة التراث الإسلامي من خلال الاستفادة من الأبحاث اللسانية.

وأما سبب اختياري لهذا الموضوع فيرجع إلى سببين هما، الشغف بقراءة التراث اللغوي وربط هذا التراث بالدرس اللساني الحديث.

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي في معالجة الإشكالية المطروحة.

- وفي الختام، يطيب لي أن أتقدم إلى الأستاذ المشرف وأعبر له عن الامتنان على ما قدمه من جهد وافر في قراءة هاته المذكرة وتقويمها وتعديلها إلى أن خرجت بهاته الصورة والشكل النهائيين كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل المتواضع الذي أتمنى أن يكون في مستوى تطلعاتهم... فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمن الشيطان لعنه الله، وإن من يشعل شمعة واحدة خير من ملايين يلعنون الظلام، ونسأل الله التوفيق والسداد والهداية والغفران... والله ولي التوفيق.

مداخل

- لقد مر البحث البلاغي عند العرب بعدة مراحل حتى وصل لنا في هاته الصورة المعهودة اليوم، والتي قسّم بموجبها - علم البلاغة - إلى العلوم الثلاثة التي نعرفها: علم المعاني، وعلم البيان وعلم البديع. ولكن المتأمل في هذا الدرس يجب أن يطرح بعض التساؤلات، أهمها، العوامل التي ساعدت في ظهور هذا التفكير البلاغي عند العرب أولاً، ثم التطور الحاصل في مفهوم البلاغة عندهم، وما هي المصنفات البلاغية التي يمكن أن نتوقف عندها للنظر في مقولاتها؟.

ولا شك أنّ أيّ علم يظهر للوجود تكون له دوافع دفعت العلماء إلى تحقيق التفكير به، وهو ما حصل فعلاً مع البلاغة العربية، سواء كان ذلك قبل مرحلة نزول القرآن الكريم، أو بعده. وهكذا يمكن أن نذكر تلك العوامل وفق ما يلي⁽¹⁾:

أ- الشعر:

- يعد الشعر مميزاً هاماً للحضارة العربية الإسلامية، اهتم به العرب، بل كان ديوانهم، وهو "علم قوم لم يكن أصح منه" فقد أدى هذا الاهتمام إلى البحث عن طرق في تذوقه، لتعيين الحسن والرديء، فكانوا عن طريق الفطرة مدركين لبعض خصائص هذا الشعر، فالاهتمام بتلك الخصائص هو اهتمام بالتفكير البلاغي، ومثال ذلك⁽²⁾، ما يُروى عن النابغة الذبياني، الحاكم للشعر، الذي تناول عليه حسان بن ثابت، وتحدى حكمه بأن يكون أشعر من الخنساء، حين فضّل عليه النابغة، الأعشى والخنساء. ومنه قال حسان:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةِ دَمَّا
وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ، وَابْنِي مُحَرَّق وَأَكْرَمُ بَنَى خَالًا، وَأَكْرَمُ بِنَا ابْنَمَا

¹ للتفصيل أكثر في العوامل التي ساعدت على نشأة البحث البلاغي، ينظر، حمادي صمود، التفكير البلاغي عند

العرب، الكتاب الجديد، ط2010، 3، ص23.

² ينظر، شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط9، دت، القاهرة، ص11.

قال النابغة: " إنك لشاعر لو لا أنك قلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى فقال له: إنك قلت الجفان فقلت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر. وقلت يلمعن في الضحى، ولو قلت يبرقن الدجى لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طرقا. وقلت: يقطرن من نجدة دما. فدلت على قلة القتل، ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بما ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرا منقطعا ".

وفي النص دلالات واضحة على بدء التفكير في تذوق الشعر من حيث النظر في بنيتها الداخلية (خصائص لغته)، والتوصل إلى التميز بين الألفاظ في قرص الشعر، فليست كلها معبرة عن المعنى المراد، ولما نقول بداية التفكير باللغة والنظر في خصائص الشعر يعني بدء التفكير البلاغي عندهم.

ب- القرآن:

- غدا القرآن القطب الذي دارت حوله المجهودات الفكرية زمنه، وذلك لبيان قضية إعجازه واستخراج وجه التحدي فيه، فانعكس ذلك على الاهتمام بلغته ومن ثم تقنين اللغة العربية، خوفا من أن يُصيب الفساد القرآن، فقد استفادت البلاغة العربية من وراء الاهتمام بالنص القرآني، وكان مرد الاستفادة إلى بيئة المعتزلة وبيئة المتكلمين، من حيث تأويل المعتزلة لأيّ الذكر الحكيم على أصولهم العقائدية ومن بينهما مبدأ التوحيد.

ج- تقعيد اللغة:

- لقد دفع عدّ القرآن والشعر من المصادر اللغوية التي رجع إليها اللغويون لتقعيد اللغة، فاستخرجوا خصائصها النوعية وفق مشاغل نحوية في درجة الأولى، لكن ذلك أخرجهم إلى بعض الملاحظات البلاغية، فنجد ابن جنيّ (ت392هـ) يعالج مبحث " الحقيقة والمجاز " في كتابه: " الخصائص"⁽¹⁾، وهو أهمّ مبحث يقوم عليه علم البيان إلى اليوم.

د- الحاجة إلى التعلم والتعليم:

¹ ينظر، ابن جنيّ: الخصائص، تحقيق الشّربني شريدة، دار الحديث، د ط، القاهرة، 2007، ص 418 .

- لقد أدى التطور الحضاري للعرب إلى استقرارهم في المدن، وظهرت مع ذلك فئات اجتماعية تقوم على صناعات لم تكن الحاجة إليها سابقا، ومنها فئة المؤدبين والمعلمين، ففي عهد الدولة الأولى اشتغلت هذه الطائفة إلى تعليم الأولاد المرشحين للخلافة. وأما الطائفة الثانية فقد انصب اهتمامها على تعليم البلاغة لأمر عقائدية في بيئة المتكلمين والمعتزلة. وأما الطائفة الثالثة تقوم على تأديب على الكتاب الملحقين في مؤسسات الدولة بديوان الرسائل والكتابة.

هـ-المؤثرات الأجنبية:

أشار بعض الباحثين إلى وجود عناصر غير عربية في موروثنا البلاغي، فقد كان الاهتمام بتأثر البلاغة العربية بالبلاغة اليونانية من الدراسات النوعية المعاصرة؛ إذ تناول طه حسين القضية في بحث وسماه " البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر"، وتتبعه في ذلك تلميذاه أمين الخولي وشوقي ضيف. وواضح أنّ الاهتمام بالبلاغة اليونانية كان في فترة مبكرة من تطور الدرس البلاغي عند العرب فكتاب الخطابة لأرسطو كان معروفا في القرن الثالث الهجري، وشرحه الفارابي (ت 339هـ). أما ابن سينا (ت 428 هـ) فقد اهتم به في كتابيه: " معاني كتاب ريطوريقا"، و " الخطابة" ومعنى ذلك أنّ أفكار أرسطو تسربت مبكرا إلى علماء العربية، وزاد الاهتمام في الفترة المتأخرة إلى عصر حازم القرطاجني.

إنّ الحديث عن مفهوم البلاغة هو حديث عن مصطلحها وكيف تقبله العلماء عبر مراحل تطوّر التفكير البلاغي. وما يمكن قوله في هذا السياق أنّ هذا المفهوم عرف اضطرابا وتعددا في الاستعمال، فنظرة الجاحظ إليه تختلف عن نظرة ابن المعتز، وكذا عند علماء الإعجاز، وحتى إلى عبد القاهر الجرجاني، ثمّ كيف تحقق المفهوم في مشروع السكاكي من خلال كتابه: « مفتاح العلوم ».

ف نجد مثلا الجاحظ يرادف في الاستعمال بين البلاغة والبراعة والفصاحة والبيان، والحقّ كما سنرى أنّ هذه المصطلحات تختلف جوهريا في المفهوم. والمطلع على كتاب ابن المعتز يستعمل مصطلح " البديع " بدلا عن مصطلح "البلاغة"، عنوانا لكتابه؛ المهمّ أنّ تطوّر التفكير هناك الحجاب عن الاستعمال. غير أنّ الذي يهمننا في ذلك هو مفهوم علم البلاغة أي النظر إلى لفظة البلاغة " باعتبارها قائمة على العلم، فما المراد منه؟ .

لقد بحث الجاحظ في مفهوم لعلم البلاغة، ونقل في آثاره " البيان والتبيين " مفهوما لها، فكان ذلك أولا من الأمم الأخرى: قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام؟ وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة، وقيل للهندي ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. ونقل الجاحظ قول الرواة والإخباريين، وقد دار بينه وبين العتابي حوارا. قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كلّ خطيب، فإظهار ما غمض من الحقّ، وتصوير الباطل في صورة الحقّ، قلت له: قد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هذا، ويا هي، واسمع مني واستمع إليّ، وافهمي عنيّ، أو لست تفهم، أو لست تعقل فهذا كله وما أشبهه عيّ وفساد(1).

وأما البلاغة عند أبي هلال العسكري(ت 395هـ) فهي المقصود منها ائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن الإصغاء للمتكلم(2). وابن رشيق ربط البلاغة بالإيجاز في اللفظ والإطناب في المعنى(3). وللرّماني(ت 384هـ) قول مشهور في تعريفها: وهي " إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"(4). ويمكن أن نصل إلى مفهوم البلاغة وفق ما تحقق في مدرسة السكاكية البلاغية، ونقصد بذلك قول تلميذه الخطيب القزويني، معرّفا إياها: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".

1 الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، دار القدس للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 76

وما بعدها.

2 ينظر، العسكري: الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989، ص 74.

3 ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت النبوي عبد الواحد شعلان مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة

2000، ص40

4 الرّماني، أبو الحسن عليّ بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق

محمد خلف الله، ومحمد زغول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص 76 .

و بناء على ذلك فمفهوم علم البلاغة يتجلى في مجموع مفهومات علومه الثلاثة، وهو علم المعاني " تتبع خواص تراكييب الكلام ورعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال "، وعلم البيان "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لتوضيح الدلالة"، وعلم البديع " تحسين أوجه الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ".

الفصل الأول

التشبيه في الموروث البلاغي العربي

1- التشبيه في الموروث البلاغي العربي:

- يشكل التشبيه ظاهرة لغوية فريدة التركيب، تجمع المختلف في عالم واحد، وتثير التفكير، وبخصوصية تركيبه تنبه له علماء البلاغة قبل الاستعارة والكناية. وتمتلك صناعة التشبيهات في كتابات المبدعين ثقافة متفق عليها، وأصبحت عرفاً لا يخرج عنه تفكير شاعر وكاتب، فالتشبيه أسلوب من أساليب التعبير الفني في لغتنا العربية، يجمع بين القوة والنفاد إلى الغرض مع الإيجاز والاختصار، وهو مبني على ما تلمحه النفس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها، وهو عملية أساسية في التفكير فيما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وهو لون من ألوان التعبير الأنيق الذي تعمد إليه النفوس بالفطرة ويتساوى جميع الناس في ذلك حيث يعبر عنه العربي والعجمي والقروي والحضري فهو لا يختص بلغة دون أخرى ولا بشخص دون آخر، وهو أشبه بشيء بوسائل الإيضاح ونماذج الدروس التي تسبق الشرح، أو يعقب بها عليه فتذلل صعوبة الفهم وتثبت معانيها في الذهن وتكون أكثر إيضاحاً، هذا بجانب خلاصة البيان إذ يفعل فعل السحر في القلوب والعقول والأذان، فتصل النفس إلى ما يراد لها وما تهوى بسهولة ويسر.

يعتبر التشبيه "من أصول التصوير البياني، ومصادر التعبير الفني ففيه تتكامل الصور وتتدافع المشاهد والقدر الجامع لنظرة البلاغيين إلى التشبيه هو التفنن بإبراز الصور البلاغية للشكل، واستقراء دلالتها الحسية وذلك عن طريق التشبيه الفائقة في تلوين المعنى بظلال مبتكرة، لم تجربها العادة¹، ولا تعرف لأول وهلة إلا بملاحظة العلاقات الفنية في التشبيه وعند ضم بعضها البعض الآخر تبدو محسوسة ملموسة ذات قوة متميزة وهنا تبرز قدرة التشبيه الإبداعية في تكيف الصورة المرادة والتشبيه فن أصيل عند العرب، جرى مجرى في كلامهم وتناولته أشعارهم وبنيت عليه خطبهم"

¹ عائشة فريد، حسين فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة

1-1. التشبيه في المعاجم اللغوية:

- ورد لفظ التشبيه في المعاجم العربية من الشَّبْهُ والشَّبَّه والشَّبِيه: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْبَاهٌ، وأشبه الشيء مائله وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم، وأشبه الرجل أمه، وذلك إذا عجز وضعف والجمع مشابه على غير قياس، وأشبهت فلانا وشابهته واشتبه على وتشابه الشبان واشتبهها: أشبه كل واحد منهما صاحبه وشبهه إياه وشبهه به: مثله والمشتبهات من الأمور: المشكلات والمتشابهات: المتماثلات وتشبهه فلان بكذا، والتشبيه التمثيل¹. ويُقصد به التمثيل، يقال: هذا شبه وهذا مثيله، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة. قال تعالى: "وَالرَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ"² (الأنعام)، وقوله تعالى: "هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا" (البقرة 25) وقوله تعالى: "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ" (النساء 158)

1-2. دلالة التشبيه اصطلاحاً:

يعد التشبيه من الفنون الإبداعية التي تحدث عنها البلاغيون، ونرد في هذا المقام لتعاريفهم تبعاً، فهو الدلالة على أمر لأمر في معنى بالكاف ونحوه، وأركانه أربعة: المشبه والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة. نحو قولنا زيد كالأسد في الجرأة³.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، د ط، بيروت_1119 (ص57)

² سورة الأنعام 99.

³ طاهر الجزائري: حديقة الأذهان في حقيقة البيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (دط) 2009 ص65

3-1. التشبيه عند أبي عبيدة:

(ت 210هـ)، ورد في كتابه (مجاز القرآن) مسألة تتعلق بالتشبيه إذ سئل عن التشبيه في قوله تعالى: "طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ"¹ (الصفات 65) فقيل إنما يقع الوعد والإبعاد لما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فقال أبو عبيدة: إنما كلم الله تعالى العرب على قدرة كلامهم، وأما سمعت إمرؤ القيس يقول:

أَيَقْتُنِّي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَثَابِ أَعْوَالِ

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به، فاستحسنوا السائل كلامه وعزم أبو عبيدة على أن يضع كتابا في القرآن في مثل هذا وأشباهه بما يحتاج إليه من علمه فعمل كتابه المجاز، وكان الشمائل لأبي عبيدة من أصحاب الصفة البيانية يستوقفه من التشبيه القرآني أن المشبه به غير محسوس، ومن ثم يفطن أبو عبيدة إلى أن الجهل بمذاهب العرب في التعبير من الشر ينفث على تحريف المعنى، ولقد أحال السائل على شعر العرب الذي فيه التصوير من جنس التصوير القرآني وحقا إن أبا عبيدة كان حديثه عن التشبيه واضحا تمام الوضوح بما فيه من الطرفين ووجه الشبه ولقد عرف التشبيه المقيد بوصف كقول الشاعر:

يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ جُرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكَحِيلُ الْمُشَعَلُ

شبه الرجال لعظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران، فلم يقتصر أبو عبيدة على القول بان مجاز التشبيه والتمثيل²

¹ سورة الصفات، 65.

² أبي عبيدة، مجاز القرآن، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 154

لقد ظهرت إشارات للتشبيه بوضوح عند الجاحظ (ت 255هـ) الذي حل أمثلة له تحليلاً لعناصره مدافعا عن التشبيهات القرآنية مؤكداً في ثنايا جدله عربية الأسلوب القرآني ممثلاً بقوله تعالى: " فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ " ¹ (الأعراف 186) فكان بذلك التشبيه دليلاً على ذم طباعه والأخبار عن تسرعه وجهله في تدبيره وتركه وأخذه ولم يقل إنني مسخت أحداً من أعدائي كلياً. ورأى الجاحظ أن التشبيه في كل أحواله يفيد الغيرية لا العينية وأن وجه الشبه يكتفي فيه أن يكون وصفاً يجمع بين الطرفين فلا ينظر إليه على جهة الاستيعاب وإنما يتجه خاطر فيه إلى الصفة البارزة في المشبه به فليس الطاووس بأحسن من الإنسان وقد أورد كثيراً من التشبيهات الواردة عن العرب، كما أورد كثيراً من التشبيهات المبتكرة والنادرة وبين الوصف الجامع بين طرفي التشبيه فالجاحظ وإن لم يضع حدوداً واضحة للتشبيه فقد أفاد إلى حد كبير وألقى ضوءاً على جملة من قضاياها مما أعان المتأخرين على إتمام الصورة من بعده

1-4. التشبيه عند الرماني:

(ت 386هـ) تحدث عن التشبيه ضمن أجزاء البلاغة العشرة وبحثه الواسع فيه فاتجه إلى القرآن الكريم ليستمد منه استشهاداً ومثل لكل قسم من الأقسام بآيات عديدة، ولم يدخل بيتاً واحداً من الشعر، وهو بهذا يلتزم طريقة بحثه المتجهة إلى بين سر إعجاز القرآن الكريم، فكانت له اليد الطولى في توضيح وتفضيل التشبيه وإبانة سلا روعته وجماله ومكانته في البيان وفضله على الحقيقة، وتوضيح وجه الشبه والفائدة التي أضافها للتشبيه ثم وضع المقاييس للأدباء للتشبيهات الجيدة، مما يبرز اهتمامه البالغ بالنسبة لتأثيره فبلاغة التشبيه الجمع بين شيئين بمعنى بجمعهما يكسب بيانا فيهما وقد قسم التشبيه إلى أربعة وجوه، منها إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة أي يمكن فيه الظهور والوضوح حتى لا يبقى فيه شك لمرتبات، ويضرب لذلك أمثلة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: " مَثَلُ الَّذِينَ

¹ سورة الأعراف 186

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ" (إبراهيم 18)¹ ويتحد عن وجه الشبه بقوله: فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة. ومنها إخراج ما لم تجربه عادة إلى ما جرت به العادة أي يتوافر فيه عنصر الطرافة والغرابة²

كقوله عز وجل: "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ" (الأعراف 171)³ وبين وجه الشبه فقال وقد اجتمع في معنى الارتفاع في الصورة ومنها إخراج ما يعلم بالبدئية إلى ما يعلم، ويقصد به التقريب بين طرفي التشبيه مثل قوله تعالى: "وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ" (الحديد 21)⁴ والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها، والمراد المبالغة في التشبيه كقوله تعالى: "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (الرحمان 24)⁵ وهو بهذا يضع الأيدي على أهمية وجه الشبه الذي يحلله تحليلا صادقا وواضحا حتى يبين القارئ الجهة الجامعة بين الطرفين ولكنه لم يهتم بكونه عقليا او حسيا إنما القصد عنده أن تتوافر في التشبيه إحدى الصفات المشروطة من إيضاح أو غرابة أو تقريب أو مبالغة سواء توافر هذا في التشبيه الحسي أو العقلي، فكل يصل إلى درجة البلاغة والرماني يسر بذلك البحث لمن أتى بعده من العلماء الذين استفادوا من أقواله التي كانت وما زالت أسسا للبلاغة يسير عليها المشتغلون بالبلاغة والمهتمون بإعجاز القرآن الكريم ومحالة معرفة سر من أسرار إعجازه⁶

¹ سورة إبراهيم 18

² الرماني، النكت في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط3، مصر 1976، ص81

³ سورة الأعراف 171

⁴ سورة الحديد 21

⁵ سورة الرحمان 24

⁶ النكت في إعجاز القرآن للرماني ص81

1-5. التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني:

(ت 475هـ) التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني فهو يراه على أنه يتكون من:

-التشبيه بين الموجود والمعدوم:

إن قال قائل: إن تنزيل الوجود منزلة العدم أو العدم منزلة الوجود ليس من حديث التشبيه في شيء لأن التشبيه أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك أو حكما من أحكامه كإثباتك للرجل شجاعة الأسد وللحجة حكم النور في أنك تفصل بين الحق والباطل كما تفصل بالنور بين الأشياء وإذا قلت في الرجل القليل المعاني: هو معدوم أو قلت هو والعدم سواء فلست تأخذ له شيئا من شيء ولكنك تنفيه وتبطل وجوده كما أنك إذا قلت: ليس هو بشيء أو ليس برجل كان كذلك وكما لا يسمى أحد نحو قولنا "ليس بشيء" تشبيها كذلك ينبغي أن لا يكون قولك وأنت تقلل الشيء أخبرت عنه "معدوم" تشبيها¹ وكذلك إذا جعلت المعدوم موجودا كقولك مثلا للمال يذهب ويثمر صاحبه ذكرا جميلا وثناء حسنا "إنه باق لك موجود" لم يكن ذلك تشبيها بل إنكار القول من نفي عنه الوجود حتى كأنك تقول عينه باقية كما كانت وإنما استبدل بصورة صورة فصار كان مالا ومكارم بعد أن كان دراهم وإذا ثبت هذا في نفس الوجود والعدم ثبت في كل ما كان على طريق تنزيل الصفة الموجودة كأنها غير موجودة نحو ما ذكرت من جعل الموت عبارة عن الجهل فلم يكن ذلك تشبيها لأنه إذا كان لا يراد بجعل الجاهل ميتا إلا نفي الحياة عنه مبالغة ونفي العلم والتمييز والإحساس الذي لا يكون إلا مع الحياة كان محصوله أنك لم تعد بحياته وترك الاعتداء بالصفة لا يكون تشبيها إنما ونفي لها وإنكار لقول من أثبتها ويجيء هذا على طرفين تمثالا فيما يلي: أحدهما: تنزيل الوجود منزلة العدم كما مضى من أجل جعل الموت عبارة عن الجهل وإيقاع اسمه عليه يرجع إلى تنزيل حياته الموجودة كأنها معدومة²

¹ عبد القادر الجرجاني أسرار البلاغة في علم البيان، دار الفكر للطباعة والنشر ط1، بيروت 1999، ص 54

² المصدر نفسه، ص 54.

الثاني: ألا يكون هذا المعني ولكن على أن لأحد المعنيين شبهها بالآخر نحو السؤال يشبه في كراهته وصعوبته على النفس الحر: الموت.

- أقسام التشبيه عند الجرجاني:

يرى عبد القاهر الجرجاني ضربين:

1. التشبيه الصريح:

هو أن فيه الأمر بين لا يحتاج إلى تأويل كتشبيه الشيء بالشيء في الصورة والشكل مثلا عند تشبيه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر وكالتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورود والشعر بالليل والوجه بالنهار وكالتشبيه من حيث الصورة واللون كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنثور ونجد أيضا كذلك التشبيه من جهة الهيئة كتشبيه القامة بالرمح والقذ اللطيف بالغصن ويدخل في الهيئة حال الحركات في أجسامنا كتشبيه الذهاب على الاستقامة بالسهم السديد ومن تأخذ الأريحية فيهتز بالغصن تحت البارح¹ ويدخل أيضا في الصريح كل تشبيه يتعلق بالحواس من ملموس ومرئي ومسموع ومشوم ولو كان وجه الشبه مركبا كالبيت المشهور لقيس بن الخطيب:

وقد لاح في الصُّبحِ الثُّرياَ لمن رأى كَعُنُقودِ مَلاحِيَّةٍ حينَ نَوَّرا

وقال ابن معتز:

وأرى الثُّرياَ في السَّماءِ كأنَّها قد تَبَدَّتْ من ثيابِ حِدادِ

فالتشبيه في البيتين بيّن لا يحتاج لتأويل ولا يفترق إليه في تحميله ومن التشبيه الصريح أيضا قول الشاعر:

كأنَّ أصواتَ من إِيغالِهِنَّ بنا أوأخِرَ الميسِ أصواتِ الفَرارِيجِ

¹ علي الجندي، فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر ومطبعها، ط2، مصر 1386_1966م، ص93.

نجد أن الشاعر يشبه أصوات أواخر الميس بأصوات الفراريج ونجد أيضا من أمثلة التشبيه الصريح تشبيه الفواكه الحلوة بالعسل والسكر وتشبيه من جهة الغريزة نحو السخاء والكرم واللؤم وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة¹.

2. التشبيه المؤول:

وهو الذي يكون في التشبيه يحتاج إلى تأويل وبعبارة أخرى أن يكون فيه الشبه فيه مجملا بحبوب التأول بعكس الصريح الذي يكون بين لا يحتاج إلى تأويل ونجد أن طريقة التأويل على حد قول عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" تتفاوت تفاوت شديدي ومنه ما يقرب مأخذه ويسهل الوصول إليه حتى أنه يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء حيث يكون بين صريح يسهل فهمه وإدراكه² ومنه ما يحتاج إلى قدر زمن التأمل ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراج وفهمه إلى فضل رؤية إلى لطف فكرة ومثال الضرب الأول من التشبيه المؤول والذي يتميز بقرب المأخذ وسهولته المأتى قولهم في صفة الكلام: ألفاظه كالماء في السلاسة وكالنسيم الذي يسري في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة كالعسل في الحلاوة ويريدون بذلك أن اللفظ لا يتعلق ولا يشبه معناه ولا يصعب الوقوف عليه وليس هو بغريب وخشي يستنكره لكونه غير مألوف أو ما ليس في حروفه تكرير وتنافر يتعب اللسان من أجلها فصار لذلك كالماء الذي يسوغ في الحلق والنسيم الذي يسري في البدن ويتخلل المسالك اللطيفة منه ويهدي إلى القلب روحا ويوجد في الصدر انشراحا ويعطي النفس ونشاطا كالعسل الذي يلذ طعمه وتهش النفس له ويميل الطبع إليه فهذا كله ورود الشيء إلى الشيء بضرب من التلطف وأما ما تقوى فيه الحاجة إلى التأول حيث لا يعرف التشبيه بسرعة وسهولة ومثال ذلك قول كعب الأشقر وقد أوفده المهلب على الحجاج فوصف له بنية وذكر مكانهم من الفضل والبأس فسأله في آخر القصة قال: فكيف كانوا بنو المهلب؟ (أي في قوم المعارضين؟) قال: كانوا حماة السرح نهارا قال: فأيهم كان انجد؟ قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها فهذا ترى أنه ظاهر الأمر في فقرة إلى فضل الرفق به والنظر ألا ترى

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص 72.

² المرجع نفسه، ص 73.

انه لا يفهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن الطبقة العامة وهذا ما نجده في التشبيه التمثيلي الذي يجعل فيه الشبه بضرب من التأويل¹

3. التشبيه الذي لا يدرك إلا بالتعب:

هذا وليس إذا كان الكلام في غاية البيان وعلى أبلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذاك عن الفكرة إذا كان المعني لطيفا فإن المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على اول ورد تال إلى سابق. أفلست تحتاج في الوقوف على الغرض من قوله " كالبدر أفرط في العلو " إلى ان تعرف البيت الأول فتتصور حقيقة المراد منه ووجه المجاز في كونه دانيا شاسعا وترقم ذلك في قلبك ثم يعود إلى ما يعرض البيت الثاني عليك من حال البدر ثم تقابل إحدى الصورتين بالأخرى وترى البصر من هذه إلى تلك وتتنظر إليه كيف شرط في العلو الإفراط الشاكل قوله "شاسع" لأن الشسوع هو الشديد من البعد ثم قابله بما لا يشاكله من مراعاة التناهي في القرب فقال: "جد قريب" فهذا هو الذي أردت بالحاجة إلى التفكير وبأن المعنى لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه واجتهاد في نيله هذا وإن توقفت في حاجتك أيها السامع للمعنى إلى الفكر في تحصيله فهل تشك في أن الشاعر الذي أداه إليك ونشر بزّه لديك قد تحمل فيه المشقة الشديدة وقطع إليه الشقة البعيدة وأنه لم يصل إلى دُرّه حتى غاص وأنه لم ينل المطلوب حتى كابد منه الامتناع والاعتبار؟ ومعلوم أن الشيء إذا علم أنه لم يُنل في أصله إلا بعد التعب ولم يدرك إلا باحتمال النصب كان للعلم بذلك من أمره من الدعاء إلى تعظيمه، وأخذ الناس بتفخيمه ما يكون للمباشرة الجهد فيه وملاقة الكرب دونه، وإذا عثرت بالهُؤَيِّنَا على كنز من الذهب لم تخرجك سهولة وجوده إلى ان تنسى جملة أنه الذي كدَّ الطالب وحمل المتاعب حتى إن لم تكن فيك طبيعة من الجود عليك ومحبة للثناء تستخرج النفيس من يدك كان من أقوى حجج الظن الذي يخامر الإنسان أن تقول " إن لم يكذني فقد كدَّ غيري " كما يقول الوارث للمال المجموع عفوا إذا ليم على بخله به و وفرط شُحّه عليه²: " إن لم

¹المرجع السابق، ص73.

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ص74.

يكن كَسْبِي وكَدِّي، فهو كسب والدي وجدي ولئن لم ألق فيه عناء لقد عانى سلفي فيه الشدائد في جمعه الأمرين فأضيع ما ثمره وأفرق ما جمعه وأكون كالهادم لما أنفقت الأعمار في بنائه والمبيد لما قُصرت الهمم على إنمائه؟ " وإنك لا تكاد تجد شاعرا يعطيك في المعاني من التسهيل والتقريب و وردّ البعيد الغريب إلى المألوف القريب، ما يعطي البحتري ويبلغ في هذا مبلغه فإنه ليروض لك المَهْرَ الأرْنَ رياضةً الماهر حتى يُعْنَق من تحتك إغناقَ القارح المذلل وينزع من شِمَاس الصعب الجامح حتى يلين لك لين المنقاد المطيع ثم لا يمكن ادعاءً أن جميع شعره في قلة الحاجة إلى الفكر، والغنى عن فضل النظر.

-التشبيه المعقد والملخص:

1. التشبيه المعقد:

المعقد من الشعر والكلام لم يذم لأنه مما تقع حاجة إلى الفكر على الجملة بل لأن صاحبه يغير فكرك في متصرفه ويشيك طريقك إلى المعنى ويصعب مذهبك نحوه بل ربما قسم فكرك حتى لا تدري أين تتوصل وكيف تطلب إذن فالمعقد هو التشبيه الصعب الذي يؤدي بالقارئ إلى التفكير المطول ويوعر الطريق للوصول إلى فهمه ويأخذ بظنه إلى البعيد ثم يأتي به حتى لا يعرف التوصل إليه¹

2. التشبيه الملخص:

أما الملخص فيفتح لفكرك الطريق المستوي ويمهده وإن كان فيه تعاطف أقام عليه المنار وأوقد فيه الأنوار حتى تسلكه سلوك المتبين لوجهته وتقطعه قطع الواثق فتزد الشريعة زرقاء والروضة غناء فتتال الرئة وتطف الزهر الجني وهل شيء أجل من الفكرة إذا استمرت وصادفت نهجا مستقيما ومذهبا قويا وطريقة تنقاد وتبينت لها الغاية فيما ترتاد فقد قيل: قرّة العين وسعة الصدر وروح القلب وطيب النفس من أربعة أمور: الاستبانة بالحجة والأنس بالأحبة والثقة بالعدة والمعينة للغاية وبالتالي فالملخص هو التشبيه السهل الذي لا يصعب على القارئ فهمه فهو يفتح له الطريق للوصول إلى غايته وهو واثق دون شك ولن

¹ المرجع السابق، ص 86.

يبعد المدى في ذلك ولا يدق المرمى إلا بما تقدم من تقرير الشبه بين الأشياء المختلفة فعن الأشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستغني بثبوت الشبه بينهما وقيام الاتفاق فيها عن تأمل في إيجاب ذلك لها وتثبيته فيها وإنما لصنعة تستدعي جودة القرينة بين الأشياء معا قد نسب وشبكة¹ فهنا هو يقصد التشبيه المعقد وهذا يكون في إقامة الشبه بين الأشياء المختلفة والذي يحتاج إلى جودة القرينة والحدق ومن الغريب أن يجمع بين أشياء مختلفة بعيدة عن بعضها في الجنس فيربط بينهما رابطة مصاهرة واشتباك فهو شبه هذا التشبيه فيما نراه من الصناعات وسائر الأعمال التي تنسب إلى الدقة ثم كان التلاؤم بينهما مع ذلك أتم والانتلاف أين كان شأنها أعجب والحدق لمصورها أوجب قال الشاعر:

إن المكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا

هنا شبه المنكر للفضل بالنار التي تلتهب في العود، قال ابن الرومي:

يَذَلُّ الوُعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمْحاً وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَدَلُ العَطَاءِ

هنا نجد رجل يريد عدوه لغيره والإزراء به لكن مهما يحاول تصغيره يبقى فضله يظهر وقدره يسمو وقال أيضا:

ثم حَاوَلْتُ بِالْمُثْقَلِ تصغي ري فما زِدْتِي سِوَى التَّعْظِيمِ

كالذي طَاطَأَ الشَّهَابَ ليخفي وهو أدنى له إلى التَّضْرِيمِ²

فهنا شبه الرجل الذي يريدون الحط من قيمته وهو ذا المروءة والفضل بالشعلة إذن نجده يقول في الذي أدرك هذه التشبيهات التي يستغرب إليها القارئ حين يقرأها أنه يستحق المدح ويستوجب التقدير وإعطائه منزلة الحاذق الصنع والملهم المؤيد والألمعي المحدث ونضعه في موضع المتعلم الذكي والمقتدي المصيب في اقتدائه الذي يحسن التشبيه بمن أخذ عنه غير أنه يصير على قوله بأنه ليس كل من ألف الشيء يبعد عنه في الجنس على الجملة فقد أصاب وأحسن بل يكون كذلك بعد تقييد وبعد شرط وهو أن يصيب بين المختلفين في

¹المرجع السابق، ص87.

²التضريم: الإشعال والإيقاد والاضطرام.

الجنس وفي ظاهر الأمر شبهها صحيحا معقول ويجد للملائمة والتأليف السوي بينهما مذهب وإليهما سبيلا يقول عبد القاهر الجرجاني: "لم أرد بقولي إن الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفان في الأجناس أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل وإنما المعنى أن هناك مشبهات خفية يدق المسلك إليها فإن تعلق فكرك فأدركها فقد استحقت الفضل ولذلك يشبه المدقق في المعاني كالغائص على الذر وميزان ذلك أن القطع التي يجيء من مجموعها صورة الشنق والخاتم أو غيرهما من الصور المركبة من أجزاء مختلفة الشكل لولم يكن بينها تناسب أمكن ذلك التناسب أن يلائم بينها الملائمة المخصوصة ويوصل الوصل الخاص لم يكن ليحصل ذلك¹

من تأليفها الصورة المقصودة "فهو يريد بالحذق الذي يتوصل إلى المشابهات الخفية التي يصعب التوصل إليها فتشغل الفكر حتى يدركها فهنا يستحق الفضل إن التشبيه الصريح إذا وقع بين شيئين متباعدين في الجنس ثم لطف وحسن لم يكن ذلك اللطف وذلك الحسن إلا الائتلاف كان ثابت بين المشبه والمشبه به من الجهة التي شبهت إلا أنه كان خفيا لا ينجلي إلا بعد التألق في استحضار الصورة وتذكرها وعرض بعضها على بعض وهذا ما جاء في قول ابن المعتز²:

وكأنَّ البرق مصحفٌ قارٍ فَأُنْطَبَاقاً مرةً وانفتاحاً

من جميع أصناف البرق ومعانيه إلا إلى الهيئة التي تحددها وتظهرها العين له عن انبساط يعقبه انقباض وانتشار يتلوه انضمام فشبه ذلك بمصحف القارئ يفتح مرة ويطبقه مرة أخرى ثم فكر في نفسه عن هيئات الحركات لينظر أيها أشبه بها فأصاب ذلك فيما يعقله القارئ من الحركة الخاصة في المصحف إذا جعل يفتحه مرة ويطبقه أخرى ولم يمن إعجاب

¹ أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 89.

² المرجع نفسه، ص 89.

هذا التشبيه لنا لن الشئيين مختلفان في الجنس أشد الاختلاف فقط بل إنه حصل بإزاء الاختلاف اتفاق كأحسن ما يكون وأتمه¹.

-الدقة في التشبيه المركب:

واعلم أنه يجب في هذا الباب شيء له حد آخر وهو نحو قوله:

إني وتزييني بمدحي معشراً كمعلقٍ ذراً على خنزيرٍ

هو على الجملة جمع بين شئيين في عقد تشبيه إلا أن التشبيه في الحقيقة لأحدهما ألا ترى أن المعنى على أن فعله في التزيين بالمدح كفعل الآخر في محاولته تزيين الخنزير بتعليق الدر عليه؟ ووجد الجمع أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشيء غير قابل للتخصيس ومتى كان المشبه به "كمعلق" في البيت فلا شك أن التشبيه لا يرجع إلى ذات الشيء بل إلى المعنى المشتق منه الصفة وإذا رجع إليه رجع إليه مقرونا بصفته على نحو ما مضى في نحو: "ما زال يفتل في الذروة والغارب" فقد شبه تزيينه بالمدح من ليس من أهله بتعليق الدر على الخنزير هكذا بجملته لا بالتعليق غير معدى إلى الدر والخنزير فالمشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما في صلته ولا يدللوا وفي هذا النحو أن تكون بمعنى مع وأمرها فيه أبين إذ لا يمكن أن يقال إني كذا وإن تزييني كذا لأنه معنا شئان يكون أحدهما خيراً عن ضمير المتكلم في "إني" الذي هو المعطوف عليه والآخر على² تزييني "المعطوف" كما يكون في نحو بيت بشار شئان يمكن في ظاهر اللفظ أن يجعل أحدهما خيراً على "النقع" والآخر على "الأسياف" إلى أن تجيء إلى فساده من جهة المعنى فأنت في نحو: "إني وتزييني" ملجأ إلى جعل الواو بمعنى "مع" من كل وجه حتى لا تقدر على إخراج الكلام إلى الصورة تكون فيها الواو عارية من معنى "مع" يكون تشبيهاً بعد تشبيهه فإن قلت إن في "معلق" معنى الذات والصفة معا فيمكن أن يكون أراد أن يشبه نفسه بذات الفاعل وتزيينه

¹المرجع السابق، ص 89.

²المرجع السابق، ص 113.

بالفعل نفسه أقول لو أريد: إني كمعلق درة على خنزير¹ وإن تزييني بمدحي معشرا كتعليق درة على خنزير كان قولاً ظاهر السقوط لما ذكرت من أنه لا يتصور أن يشبه المتكلم من حيث هو زيد مثلاً بمعلق الدر على الخنزير من حيث هو عمرو وإنما يشبه الفعل بالفعل فأعرفه فإن قلت فما تقول في قوله:

وحتى حسبت الليل والصبح إذ بدا حصانين مختالين نجونا وأشقرا

فإن ظاهره أنه من جنس المفرق؟ أقول: نعم إلا أن ثمة شيئاً من الحسن وهو أن لاقتران الحصانين الجون والأشقر في الاحتيال ضرباً من الخصوصية في الهيئة لكنه لا يبلغ مبلغ: "ليل تهاوى كواكبه" ولا يبلغ قوله: "والصبح مثل غرة في أدهم" كما أن قوله:

دون التعانق ناحلين كشكتي نصب أدقهما وصم الشاكل

لا يكون كقوله:

إني رأيك في نومي تعانفي كما تعانق لأم الكاتب الألفا

فإن هذا قد أدى إليك شكلاً مخصوصاً لا يتصور في كل واحد من المذكورين على الانفراد بوجه وصورة لا تكون مع التفريق وأما المتنبي فأراك الشيبين في مكان واحد وشد في القرب بينهما وذلك أنه لم يعرض لهيئة العناق ومخالفتها صورة الافتراق وإنما عمد إلى المبالغة في فرط التحول واقتصر من بيان حال المعانقة على ذكر الضم مطلقاً من انعطاف أحد الشكلين على صاحبه والتفاف بمحبه كما قال:

ألف الصبأ بقضيب قضيباً

وأجاد وأصاب الشبه أحسن إصابة لأن خطى اللام والألف في "لا" ترى رأسيهما في جهتين وتراهما قد تماسا من الوسط وهذه هيئة المعتنقين على الأمر فأما قصد المتنبي فليس بصفة عناق على الحقيقة وإنما هو تضام وتلاصق وهو بنحو قوله:

ضممته ضمة عدنا بها جسداً فلو رأنا عيون ما حشيناها

¹ المرجع السابق، ص 114.

أشبهه لأن القصد في مثله شدة الالتصاق من غير تعريج على هيئة الاعتناق وذهب القاضي في بيت المتنبي إلى انه معنى مفرد غير مأخوذ من قوله:

كما تُعَانِقُ لَامَ الْكَاتِبِ الْأَلْفَا¹

وقال: ولئن كان أخذه كما يقولون فليس عليه متعب لأن التعب في نقله ليس بأقل من التعب في ابتدائه، وهذا التفضيل والتفصيل من قول القاضي ليس قادحا في غرض لأنني أردت أن أريك مثالا في وضع التشبيه على الجمع والتفريق واجعل البيتين معيارا فيما أردت ولئن كان المتنبي قد زاد على الأول فليس تلك الزيادة من حيث وضع الشبه على تركيب شكلين ولكن من جهة أخرى وهي الإغراق في الوصف بالتحول وجمع ذلك للخلين معا ثم إصابة مثال له ونظير من الخط فاعرف ذلك ولا تظن أن قدي المفاضلة بين البيتين من حيث القول بين السابق والمسبوق والأخذ والسرقه فتحسب أني خالفت القاضي فيما حكم به².

1-6. الاستعارة والتشبيه بين الحقيقة والخيال:

واعلم أن الاستعارة لا تدخل في قبيل التخيل لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة وإنما يعمد إلى إثبات شبهه هناك فلا يكون مخبره على خلاف خبره وكيف يعرض الشك في أن لا مدخل للاستعارة في هذا الفن وهي كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى كقوله عز وجل: " ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾"³ ثم لا شبهة في أن المعنى على إثبات الاشتعال ظاهرا وإنما المراد إثبات مشبهه⁴ وجملة الحديث الذي أريد بالتخييل ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويربها ما لا ترى أما الاستعارة فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف في أنك إذا رجعت إلى أصله

¹المرجع السابق، ص 115.

²المرجع السابق، ص 115.

³سورة مريم (4)

⁴أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 154.

وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليا صحيحا ويدعى دعوى لها شبح في العقل وستمر بك ضروب من التخيل هي أظهر أمرا في البعد عن الحقيقة تكشف في أنه خداع للعقل وضرب من التزييق فتزداد استبانة للغرض بهذا الفصل وأزيدك حينئذ إن شاء الله كلما في الفرق بين ما يدخل في حيز قولهم: حيز الشعر أكذبه وبين ما لا يدخل فيه مما يشاركه في أنه اتساع وتجاوز فاعرفه وكيف دار الأمر فإنهم لم يقولوا: خير الشعر أكذبه وهو يريدون كلما غفلا سادجا يكذب فيه صاحبه ويفرط نحو أن يصف الحارس بأوصاف الخليفة ويقول للبائس المسكين: "إنك أمير العرّاقين ولكن ما فيه صنعة يتعمّل لها وتدقيق في المعاني يحتاج معه إلى فطنة لطيفة وفهم ثاقب وغوص شديد والله الموفق للصواب" ومن أمثلة أبي تمام يذكر الممدوح قد زاده مع بعده عنه وغيبته في العطايا على الحاضرين عنده اللازمين خدمته:

لَزِمُوا مَرْكَزَ النَّدَى وَذَرَاهُ وَعَدْنَا عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْعَوَادِي
غَيْرَ أَنَّ الرَّبِّيَ إِلَى سَبَلِ الْأَنْوَاءِ أَدْنَى وَالْحِظُّ حِظُّ الْوَهَادِ

لم يقصد من الربّي إلى العلو ولكن إلى الدنو فقط وكذلك لم يرد بذكر الوهاد الضعة والسفل والهبوط وإنما أن الوهاد ليس لها قرب من فيض الأنواء ثم إنها تتجاوز الربّي هي دانية قريبة إليها إلى الوهاد التي ليس لها ذلك القرب يقول ابن العباس الطّبي:

لَا تَرَكَنَّ إِلَى الْفِرَاقِ قِيَّ وَإِنْ سَكَنْتَ إِلَى الْعِنَاقِ
فَالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَصْفَرُّ مِنْ فَرَقِ الْفِرَاقِ¹

أدعى لتعظيم الفراق أن ما يرى من الصفرة في الشمس حين يرق نورها بدنوها عليهم وأنست بهم وأنسوا بها وسرّتهم رؤيتها، ونوع آخر من قول الآخر:

قَضِيبُ الْكَرَمِ نَقَطَعَهُ فَيَبْكِي وَلَا تَبْكِي وَقَدْ قَطَعَ الْحَبِيبُ

وهو منسوب إلى إنشاد الشبلي ويقال أيضا إن أبا العباس أخذ معناه في بنيه من قول بعض الصوفية وقيل له: لم تصفر الشمس عند الغروب؟ فقال: من حذر الفراق يقول المتنبي:

¹ المرجع السابق ص 157

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ
فَلَوْ لَمْ تَعْرِ لَمْ تَزُو عَنِّي لِقَاءَ كُـم وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَصْمِي

الدعوى في إثبات الخصومة وجعل النوى كالشيء الذي يعقل ويميز ويريد ويختار وحديث الغيرة والمشاركة في هوى الحبيب يثبت بثبوت ذلك من غير أن يفتقر منك إلى وضع واختراع ومما يلحق بالفن الذي بدأت به قوله:

بِنَفْسِي مَا يَشْكُوهُ مَنْ رَاحَ طَرْفُهُ وَنَزَجِسُهُ مِمَّا دَهَى حُسْنَهُ وَرَدُّ
أَرَأَيْتَ دَمِي عَمْدًا مَحَاسِنُ وَجْهِهِ فَأَضْحَى فِي عَيْنِيهِ آثَارُهُ تَبْدُو

لأنه أتى بجمرة العين وهي تعرض لها من حيث هي عين معلقة وأتى بإرارة الدم في صورة العلة وهو يعلم أنها مخترعة موضوعة فليس ثم إرارة دم ومما يشبه هذا الفن الذي هو تأول في الصفة فقط من غير أن يكون معلول وعلّة ما تراه من تأولهم في الأمراض والحميات أنها ليست بأمراض ولكنها وأذهان متوقدة وغرامات كقوله:

وَحُوشِيَّتَ أَنْ تَضْرِي بِجَسْمِكَ عِلَّةً أَلَا إِنَّهَا تَلِكُ الْعُرُومُ النَّوَاقِبُ¹

وقال ابن مالك:

فَتَرْتِ وَمَا وَجَدْتَ أبا العلاء سِوَى فَرْطِ التَّوَقُّدِ وَالذِّكَاةِ

وعلي بن سليمان الأخفش:

وَلَقَدْ أَخْطَأَ قَوْمٌ زَعَمُوا أَنَّهَا مِنْ فَضْلِ بَرْدٍ فِي الْعَصَبِ
هُوَ ذَاكَ الدِّهْنُ أذْكَى نَارَهُ وَالْمِرْأَجُ الْمُفْرِطُ الْحَرِّ التَّهْبِ

ولا يكون كقول المتنبي:

وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا مَا عُدُّرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهِ
أَعَجِبْتُهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لَتَأْمُلِ الْأَعْضَاءُ لَا لِأَذَاتِهِ

¹ المرجع السابق، ص 159.

من هذا في شيء بأكثر من أن كلا القولين في ذكر الحمى وفي تطبيب النفس فهو اشتراك في العرض والجنس وأما في عمود المعنى وصورته¹ الخاصة فلا لأن المتنبي لم ينكر أن ما يجده الممدوح حمى كما أنكره الآخر ولكنه كأنه سأل نفسه كيف اجترأت الحمى على الممدوح مع جلالته وهيئته؟ أم كيف حاز أن يقصد شيء إلى أذاه مع كرمه ونبله؟ وأن المحبة من النفوس مقصورة عليه؟ فتمحل لذلك جوابا ووضعاً للحمى فيما فعلت من الأذى عذرا وهو تصريح ما اقتصر فيه على التعجب وينبغي أن باب التشبيهات قد خطى من هذه الطريقة بضرب من السحر لا تأتي الصفة على غرابته ولا يبلغ البيان كنه ما ناله من اللطف والظرف فإنه قد بلغ حدا يبرز المعروف في طباع الغزل ويلهي الثكلان عن الثكل وينفث في عقد الوحشة وينشد ما ضل عنك من المسرة ويشهد للشعر بما يطيل لسانه في الفخروييين جملة ما للبيان من القدر والقدر

1-7. التشبيه عند السكاكي:

مباحث التشبيه عند السكاكي تتناول أربعة موضوعات هي: طرفاه ووجهه والغرض منه وأحواله في القرب والغرابة والقبول والرفض فطرفا التشبيه إما أن يدرك بالحس كتشبيه الوجه بالقمر وإما أن يدركا بالخيال كتشبيه شقائق النعمان بأعلام ياقوت على رماح من زبر جد فالتشبيه الخيالي هو المعدوم الذي رفض مجتمعا من أمور كل واحد منها يدرك بالحس لأنه فإن الأعلام الياقوتية المنشورة على الرماح الزبرج دية مما لا يدرك بالحس لأنه لا وجود لها في عالم الواقع ولكن المادة التي تتركب منها التشبيه أي الأعلام والياقوت والرمح والزبرج مل منها محسوس بالبصر وإما أن يدرك طرفا² التشبيه بالوهم كما إذا قدرنا صورة وهمية للموت وشبهناها بالمخلب أو الناب وإما أن يدركا بالعقل كتشبيه العلم بالحياة وإما أن يدركا بالوجدان كاللذة والأم والشبع والجوع وهذه تقسيمات للتشبيه واستحدثها السكاكي متأثرا بكلام الفلاسفة وعلماء الكلام في صور الإدراك.

¹المرجع السابق، ص 159.

²المرجع السابق، ص 169.

1. أقسام التشبيه عند السكاكي:

متعددة فوجه الشبه عنده إما أن يكون واحداً أو غير واحد وغير الواحد إما أن يكون في حكم لكونه هيئة مركبة أو لا يكون والواحد إما أن يكون حسياً أو عقلياً ولا بد في الحسي من أن يكون طرفاه حسيين كتشبيه الشجاع بالأسد في الجراءة وقد يكون طرفاه عقليين كتشبيه الجهل بالموت في عدم النفع وقد يكون أحدهما حسياً والآخر عقلياً كتشبيه العلم بالنور في النفع والفائدة وهكذا يمضي السكاكي في تقسيم وجه الشبه أقساماً أخرى قد نعرض لها عند الكلام عن التشبيه تفصيلاً¹

2. أغراض التشبيه عند السكاكي:

ويقسمها إلى ما يعود إلى المشبه أو إلى المشبه به ويقسم الأول إلى بيان الحال وبيان مقدار حال وبيان إمكان حال وزيادة تقرير حال وتزيين وتقبيح واستطراف أما الأغراض التي تعود إلى المشبه به فمرجعها إلى إيهام كونه أتم من المشبه في وجه الشبه أو بيان أنه أهم عند مردي التشبيه فلا يفوته هنا أن يبدي رأيه في التشبيه التمثيلي مقرر أن وجه الشبه فيه يبغى أن يكون مركباً أي صورة منتزعة من متعدد وأن يكون وهمياً اعتبارياً وهو في ذلك يخالف عبد القاهر الجرجاني الذي يشترط أن يكون وجه الشبه² في التشبيه التمثيلي مركباً وأن يكون عقلياً والعقلي عنده يشمل الوهمي وعن أحوال التشبيه من حيث القرب والغرابة والقبول والرفض يستوحي السكاكي في ذلك قول عبد القاهر فيقول: عن إدراك الشيء مجملاً أسهل من إدراكه مفصلاً وإن حضور ما يتردد على الحس أقرب من حضور ما لا يتردد عليه وإن الشيء مع ما يناسبه أقرب حضوراً منه مع ما لا يناسبه وإن استحضار الأمر الواحد أيسر من استحضار غير الواحد وإن ميل النفس إلى الحسيات أتم من ميلها إلى العقليات وأن النفس لما تعرف أقبل منها لما لا تعرف وإن الجديد المستطرف عندها ألد من

¹ علم البيان، عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت 1985، ص33

² المرجع نفسه، ص 34.

المعاد المكرر وعلى ضوء هذه الأصول يقول: إن من أسباب قرب التشبيه أن يكون وجهه أمرا واحداً أو يكون المشبه به قريبا في الصورة من المشبه أو يكون حاضرا في الخيال بجهة من الجهات أما غرابته فمن أسبابها أن يكون الشبه مركبا أو يكون المشبه به بعيد عن المشبه أو يكون وهميا أو مركبا عقليا أما التشبيه المقبول فالأصل فيه أن يكون صحيحا وألا يكون مبتذلا وكذلك يعرض السكاكي لصور التشبيه البليغ ويتابع عبد القاهر في إدخال صور التجريد المختلفة في التشبيه كقولك عن صديق أنست بحديثه "وجدت في حديثه نسمة عطرة" فقد جردت من حديث الصديق نسمة متصفة بالعطر كأنها غيره مع أن حديث الصديق هو هي كقول الشاعر:

أَعَانِقُ غُصْنَ الْبَانَ مِنْ لَيْنِ قَدِّهَا وَأَجْنِي جَنِّيَّ الْوَرْدِ مِنْ وَجَنَاتِهَا

فالشاعر هنا جرد من قد الحبيبة غصن بان لين ومن وجنتيها وردا فهو يدل أن يعبر بالتشبيه الصريح فيقول قد الحبيبة كغصن البان لينا ووجنتاها كالورد عبر عنه بأسلوب التجريد الذي عده السكاكي من صور التشبيه وأخيرا يختم السكاكي كلامه عن التشبيه ذاكرا أنه قد يشبه الضد بضده على سبيل التهكم كتشبيه الجبان بالأسد والبخيل بحاتم مثلا¹

وبهذا ترسخ التشبيه في التفكير البلاغي الحديث على أنه عقد مماثلة كما يرى أحمد الهاشمي في نص بيانه: "التشبيه":

لغة: التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثيله.

اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين، أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة، أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم².

¹ المرجع السابق، ص36.

² أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت

إنّ التشبيه من الفنون البلاغية التي يقوم الإجراء فيها على إيراد المعنى وتوضيحه، يؤدي أغراضاً وفوائد جليّة، يمكن إجمالها فيما يلي (1):

- إما لبيان حال المشبه، كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد، إذا علم لون المشبه به دون المشبه

- أو بيان مقدار حاله، في القوة والضعف والزيادة والنقصان، كما في قول حبيب الطائي: مداد مثل خافيه الغراب (وقرطاس كرقراق السحاب)

¹ القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2003، ص69

الفصل الثاني

التشبيه في ضوء النظرية التوليدية التحويلية

1- النظرية التوليدية التحويلية:**1-1. نبذة عن حياة تشو مسكي (Chomsky):**

- ولد أفرام نعوم تشومسكي في فيلاديلفيا 07 ديسمبر 1928م، من أبرز علماء اللغة واللغويات في العالم، درس علم اللغة والرياضة والفلسفة في جامعة بنسلفانيا، وقد تعلم شيئاً من مبادئ علم اللغة التاريخي من أبيه الذي كان أستاذاً للغة العبرية، وأعد رسالته للماجستير في العبرية الحديثة، ثم حصل على الدكتوراه من الجامعة نفسها وكان تشومسكي مستغرقاً في النشاط السياسي منذ صباه، وتكونت آراؤه وسط ما يشير إليه هو باسم (الجامعة اليهودية الراديكالية في نيويورك) وهو أميل إلى الفكر الاشتراكي.

فقد كان لأستاذه الكبير هاريس (harris) الفضل الأوفر في توجيه جهوده نحو السياسة، والتي أفادته شهرة واسعة بالإضافة إلى أنها لا تنفصل عن الأصول الفكرية التي أقام عليها منهجه اللغوي الذي أعطاه أيضاً شهرة أوسع من سابقتها، ويعد تشو مسكي رائد النظرية التوليدية التحويلية¹.

1-2. تعريف النظرية التوليدية التحويلية:

- جاءت هذه النظرية بعد أن سيطرت المدرسة الوصفية البنوية على الدرس اللساني في الغرب، فأخذت الأفكار عند بعض اللسانيين تضيق ذرعا بالطابع الوصفي الذي هيمن على الدرس اللساني.

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (النظرية الألسنية) المؤسسة الجامعة

للدراسات والنشر و التوزيع، ط2، بيروت 1912، ص140.

فالنظرية التوليدية في حقيقتها نظرية نقدية، لأنها قامت على إصلاح بعض الهفوات التي وقعت فيها المدرسة الوصفية، ففي سنة (1958) بدأت ثورة في الدرس اللغوي حين أصدر تشومسكي، كتابه (البنى النحوية) ومن ذلك الحين تغير اتجاه اللغة الأول من الوصفية إلى منهج جديد، وهو ما يعرف الآن بـ (النحو التحويلي) وتقوم هذه النظرية على أساس أن اللغات الإنسانية تشترك جميعها في وظيفة القواعد التحويلية، وهي تعني تحويل التراكيب التي ينطق بها المتكلم، ويسمعا السامع، ووصف العلاقة بين التركيب الباطني والتركيب الظاهري تسمى تحويلاً أو قانوناً تحويلياً، وتشبه عملية كيميائية يتم التعبير عنها بمعادلة أحد طرفيها قبل تفاعلها، والطرف الآخر هو الناتج بعد هذا التفاعل¹.

1-3. أهم أسس النظرية التوليدية الحديثة:

أولاً: التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية²

ثانياً: القواعد التحويلية ينجم عند إتباعها جمل أصولية لا غير كما تحدد كل الجمل المحتملة في اللغة³

ثالثاً: اعتبار الجملة الوحدة اللغوية الأساسية.

رابعاً: التفريق بين الكفاية والأداء: فالكفاية: قدرة ابن اللغة على فهم تراكيب لغته وقواعدها وقدرته من الناحية النظرية، على أن يركب ويفهم عددا غير محدود من الجمل، ويدرك الصواب منها أو الخطأ، وأما الأداء فهو الأداء اللغوي الفعلي لفظاً أو كتابة.

¹ خوجة إبراهيم، قراءة جديدة في نظرية تشومسكي، الجامعة الأردنية، 2010، ص50.

² أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، عالم الكتب المصرية، ط1، القاهرة 1995، ص163.

³ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية، ص9.

خامسا: الإدراك اللغوي والقدرة اللغوية: وهي صفات إنسانية تكمن في النوع البشري وليست مكتسبة وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: اختيارية وإجبارية¹

1-4. من أهم القواعد التحويلية:

1. الحذف

2. التعويض

3. التمدد والتوسع.

4. التقلص أو الاختصار.

5. الإضافة أو الزيادة.

6. إعادة الترتيب (التبادل أو التقديم والتأخير)²

ومن أهم ما يميز العالم اللغوي تشو مسكي في الآونة الأخيرة سعيه إلى قواعد لغوية تشترك بها جميع اللغات باعتبارها ميزة إنسانية، وآخر هذه التعديلات ظهر في صورة النظرية التقليدية في منتصف التسعينات³.

وهي تطور لنظرية القواعد العامة أو "النحو الكلي"، التي يهدف تشو مسكي منها إلى وصف اللغة باعتبارها ميزة إنسانية مع شرح مصدرها، والفكرة الأساسية لهذه النظرية التي وصفها تشو مسكي بمجموعة من المبادئ والحالات والقواعد التي تمثل كل اللغات البشرية

¹ الدكتور محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، ط1، الرياض 1981م، ص40.

² جون ليونز، نظرية تشو مسكي اللغوية، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية 1985، ص32.

³ فائقة الصادقي، نظرية تشو مسكي في القواعد العامة، مقدمة القارئ العربي، جامعة البحرين، ص39.

أو ماهية اللغة البشرية (لغة البشر) هي أن كل البشر يشتركون في جزء من معرفتهم اللغوية بغض النظر عن لغتهم الأم، والقواعد العامة هي هذه السمة المشتركة¹.

أهم الانتقادات الموجهة إلى التوليدية التحويلية (البنوية التحويلية): لقد لخص العلماء بعض عيوب هذه المدرسة فيما يأتي:

أولاً: الاعتماد على الجنس: فكثير من العلماء يرون أن "الحدس شيء غير علمي، ولا تخضع للملاحظة المباشرة، بالإضافة إلى أنه متغيرة وغير جديرة بالثقة"²

ثانياً: الاعتماد على الاستبطان: فبعض العلماء يرون أن من الاستطاعة أن نستبطن أشجار التركيب السطحي - مكونات - المرتبطة بجمالنا لكننا لا نستطيع أن نستبطن تراكيبها العميقة، وممن ذكر ذلك العالم اللغوي سامبسون (*Sampson*)³

ثالثاً: الاختلاف حول الظاهر والباطن: وخاصة اللغة الإنجليزية وأما اللغة العربية فالأمر فيها واضح، فقد اعتمد النحاة العرب أصل الجمل (مبتدأ وخبر) (فعل وفاعل)، وما زاد على ذلك فيعتبر بنية سطحية⁴.

رابعاً: صعوبة تطبيق المستويات الأربعة للقواعد التحويلية: حيث من الصعب إذا أراد المتكلم صياغة جملة، أن يبدأ في تطبيق القوانين الأساسية، ثم القوانين المفردة، ثم يطبق القوانين التحويلية، وينتهي به المطاف بعد ذلك إلى تطبيق القوانين المورفيم الصوتية، وهذا بالطبع يستغرق وقتاً طويلاً إذا طبقت مع كل جملة، وقد لا تتكون لديه جملة إطلاقاً، وإذا ألزمناه بتطبيق هذه المستويات صارت القواعد التحويلية معيارية⁵

¹ المرجع السابق، ص 40.

² عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، بيروت، منشورات عديدات، 1982م، ص 50.

³ المرجع نفسه، ص 51.

⁴ المرجع نفسه، ص 52.

⁵ المرجع نفسه، ص 53.

خامساً: عدم وجود قواعد تحويلية للغة، وذلك لأن هذه القواعد هي في أسسها فرضية قائمة على الحدس والتخمين.

وبعد فقد أتت التوليدية (البنوية التحويلية) في ثوبها العقلاني الفلسفي لتعيد للدرس اللساني العربي جوهره الفكري، وكانت بداية عمل الدارسين هو البحث عن مواطن التشابه بين اللغويات العربية القديمة والدراسات التوليدية الحديثة، ولقد أسهم التطور المتسارع للنماذج التوليدية في خلق اعتقاد راسخ بالتماثل بين المنهج الشموسكاوي والمنهج النحوي القديم لدى اللسانيين، فراحوا يبحثون في ثنايا هذا الأخير عن مظاهر تحويلية وتوليدية، وهكذا نجد الدكتور عبده الراجحي يحدثنا عن "الجوانب التحويلية في النحو العربي" والتي حددها في جملة من العناصر، هي:¹

1- قضية الأصلية: والفرعية التي تماثل البنية العميقة والسطحية في اللسانيات الحديثة.

2- قضية العمل التي نجدها حاضرة في التراثية معاً.

3- قواعد الحذف والزيادة وإعادة الترتيب.

ويخصص الدكتور حماسة عبد اللطيف بحثاً منفرداً لمعالجة "الأنماط التحويلية في النحو العربي"، متتبعا سلك التحويلات المختلفة التي يتعرض للعربية تركيباً وإفراداً² في حين يتجه مازن الوعر وجهة تركيبية خالصة محاولاً تحديد أنماط التراكيب الأساسية في العربية في جميع فريد بين معطيات النحو القديم ومعطيات النماذج التوليدية³

¹ عبد الله جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2004 ص24.

² حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، دط، دت، القاهرة، ص57.

³ مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس،

وعلى هذا المنوال سارت محاولات الدارسين بتقديم المقترحات التحويلية وتطبيقها على التراث النحوي معتقدين تماثلا منهجيا في أسس التحليل، وقد وصل الأمر ببعضهم تأويل هذا التماثل بمطالعة تشو مسكي لقضايا العربية أثناء بحوثه في اللسانيات العامة وفي النحو العبري¹

وتأتي هذه الدراسة في السياق نفسه، وقبل أن نوازن بين بعض الآراء اللغوية لابن جني وبعض آراء ديسوسير وتشو مسكي فلا بد من الاعتداء بما يأتي:

أولاً: اعتبار اللغة العربية لغة كباقي اللغات الطبيعية تشاركها في العديد من الخصائص والمكونات لأن كل المخلوقات البشرية تشترك في بنية معرفية محددة، وهي القدرة التي يمكن تمثيلها على شكل قواعد كلية، ويرى كثير من العلماء أن "كونها عربية لا يعني أنها تنفرد بخصائص لا توجد في أية لغة من اللغات، بل لا نكاد نجد ظاهر في اللغة العربية إلا ونجد لها مثيلاً في لغة أو لغات أخرى²

ثانياً: إن المنهج التوليد لدى العلماء العرب عمل على تأصيل نظرية لسانية عربية تعالج قضايا العربية القديمة والحديثة، إلا أن الظواهر التي عالجها اللسانيين العرب كانت "استنتاجاً" لقضايا معالجة في اللغات الأوروبية بوحى من معطياتها، مما جعلها تركز على قضايا دون أخرى، وهذا ما ينفي عنها صفة الشمولية والكلية.

تطور النظرية التوليدية التحويلية: مرت هذه النظرية بمراحل قبل أن تصل إلى ما هو عليه الآن وكان تشو مسكي يغير منهجه في كل مرحلة من هذه المراحل، وسيكون تركيزنا هنا على هذا المنهج من الوجهة الدلالية فقط:

¹ حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، دط، دت، ص 11.

² عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 56.

أولاً: منهج المباني التركيبية:

كان تشو مسكي عند بداية وضع النظرية في سنة 1950 مهتما بتحليل مكونات التراكيب اللغوية هي:

المكون التوليدي الذي يجعل البنية العميقة أساس في توليد التراكيب اللغوية، وتبعاً لذلك ينظر الباحث - بمقتضى هذه النظرية - في القواعد التفريعية التي تجعل البنى السطحية فروعاً للبنى العميقة، ولا يستطيع الباحث أن يفعل ذلك في معزل عن المعاني المعجمية للألفاظ.

المكون التحويلي: ويشمل القواعد التحويلية الجوبية، والقواعد التحويلية الجوزية. المكون الصوتي الصرفي: الذي يدل على المباني الصرفية، باعتبار التأثيرات الصوتية في تكوينها، ولم يعرض تشو مسكي لدلالة التراكيب في هذه المرحلة، فقد اكتفى بالحديث عن الدلالة المعجمية والصرفية¹.

ثانياً: المنهج المعياري:

كان للبحوث والدراسات السابقة لكل من كاتزو بوستال، و فودور، أثر كبير في تطوير التوليدية التحويلية، فقد تناول تشو مسكي هذه البحوث بعقل منفتح، وأجرى تعديلات على منهجه، فأصبح على النحو الآتي:

المستوى المراكبي وله مكونان هما:

- المكون التوليدي الذي يتضمن القواعد التفريعية والتصنيفية، والمعجمية.

المكون التحويلي الذي يتضمن التحويلات الجوبية والجوزية.

المستوى الدلالي الذي يفسر البنية العميقة.

¹ سمير شريف استينسة، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن

المستوى الصوتي الذي يظهر منطوقا في البنية السطحية¹.

ثالثا: المنهج المعياري الموسع:

- وجد تشو مسكي أن النظر في البنية لا يحل المشكلة الدلالية للتراكيب، فتوجه إلى تعديل النظرية، وانصرف جل وكده إلى إبراز الدلالية المعجمية، وتقديمها على القواعد التحويلية، بل إحلالها محلها، لأن القواعد التحويلية لا تبرز الدلالة المعجمية للكلمات، وقد وضع فرضيتين هنا:

- الفرضية المعجمية القائمة على اعتبار معاني المفردات الأصلية، وكل ما اشتق منها.
- الفرضية التفسيرية القائمة على اعتبار رؤية المتكلم، من تركيز، وقصد، واهتمام، أو نقيض ذلك.

رابعا: المنهج النحوي الدلالي:

- يعد هذا المنهج استكمالا للنقص الذي كان موجودا في النظرية، أكثر من كونه تصحيحا لخطأ كان فيها، ففي هذا المنهج دأب تشو مسكي على الأخذ بما انتهى إليه جاكندوفو جروبر، يركز هذا المنهج على المعطيات الدلالية التي تقدمها التراكيب من هذه التراكيب ما هو عمدة (ركن أساسي) كالمبتدأ، والفاعل، والمفعول به، ومنها ما هو فضلة، كالزمان، والمكان، الهيئة، وغير ذلك².

خامسا: المنهج الدلالي التصنيفي:

- قدم كوك تصورا جديدا لما ينبغي أن يكون عليه النظر التحليلي في اللغة، وقد أخذ تشو مسكي بهذا التصور وأعاد النظر في المكونات السابقة لنظريته على أساس ذلك، وقد صنفت دلالات الألفاظ باعتبار ما يميزها من حركة، أو شعور، وباعتبار ظرفيتها وباعتبارها

¹المرجع السابق، ص 182.

²المرجع السابق، ص 184.

سببا أو نتيجة ولا يعد هذا المنهج تصحيحا لمسار خاطئ في النظرية، وإنما هو استكمال لما كان نقصا ليس غير.

سادسا: منهج الربط العاملي:

- يعد هذا المنهج تطورا كبيرا في نظرية تشو مسكي وقد أقام منهجه هذا على مجموعة من التصورات النظرية، وسمى كل تصور منها وليس المقصود أن كل واحد من هذه التصورات نظرية مستقلة، كما يتوهم بعض قارنيه من الباحثين غير المدققين، فهو يصف كل تصور (فكرة أو فرضية)¹.

2- الإطار النظري للنظرية التوليدية التحويلية:

يتمحور الإطار الاستومولوجيا للنظرية التوليدية التحويلية، التي جاء بها تشو مسكي والتي قامت على أنقاض الاتجاه في النقاط الآتية:

- يحاول تشو مسكي في نظريته اللسانية هذه إحياء بعض المفاهيم التقليدية العائدة إلى القواعد الفلسفية أو اللسانية الديكارتي كما يسميها في كثير من السياقات.

- المقصود باللسانيات الديكارتي كل الأبحاث اللغوية المتأثرة بمنهجية ديكارت.

- يرى تشو مسكي أن الدراسات اللسانية التوزيعية والوصفية بشكل عام أخطأت حينما ابتعدت عن المبادئ الفلسفية المتأثرة بفكر ديكارت.

- إن تشو مسكي بعد أن استنفد المعطيات النظرية الخاصة بالمبادئ التوزيعية، قال بضرورة العودة إلى المسائل التي أثارها القدماء وإعادة استكشافها وتبني من طلقاته العقلية.

- إن عودة تشو مسكي إلى تلك المبادئ العقلانية الديكارتي لا ينم عن رغبة لديه في إحياء القديم أو التمسك به جملة وتفصيلا بل إن التطور الذاتي لواقع اللسانيات هو الذي قاده إلى مثل هذا السلوك والإقرار بعدة مبادئ فلسفية أساسية رآها تخدم فعلا الحدث اللساني في الوقت الذي ابتعدت عنه اللسانيات التوزيعية كلية.

¹ المرجع السابق، ص 185.

- لقد كانت المفارقة المنهجية التي انتهجها تشو مسكي عبارة عن مفارقة بين النزعة العقلانية والنزعة التجريبية، ثم بعدها كرست النتائج المحصل عليها في مجال البحث اللساني قصد دحض الفكر السلوكي الخارجي حول طبيعة العقل الإنساني.

- رفض تشو مسكي في عدة سياقات ذلكم التحليل اللغوي القائم على الجانب الوصفي لما قد قاله المتكلمون، معطيا الاهتمام البالغ أن الدراسة اللسانية ينبغي أن تقوم على مبدأ الشرح والتحليل بالنسبة للمعطيات الذهنية التي من خلالها يمكن للإنسان أن يتكلم بعدد هائل من الجمل التركيبية¹.

لذلك نجد هذه النظرية التوليدية على أساس مجموعة من القواعد التي لها القدرة على تفسير كل (البنى التركيبية) التي تكون اللغة الطبيعية وهي تتفرع إلى خمسة مكونات أساسية، التركيبي ثم الأساسي ثم التحويلي فالفونولوجي والدلالي.

أ- المكون التركيبي:

- وهو المكون الوحيد الذي يقره لكل جملة بنية عميقة تجعل لها تفسيراً دلالياً وبنية سطحية تمثل التفسير الفونولوجي لواقع الجملة، ونعني بالبنية العميقة ذلكم المشير الضمني الذي تولده القواعد التركيبية، والذي يتم إجراء التحويلات عليه لبناء الجمل في البنية السطحية².

ب- المكون الأساسي:

- يحتوي هذا المكون الأساسي على قواعد إعادة الكتابة التي ينطلق فيها تشومسكي من فكرة أساسية وهي كيفية اشتقاق الجملة وهو يرمز إلى عملية الكتابة بالسهم أي أن ما قبل

¹ ياسين الحاج صالح، اللغة والفكر، بعض التأملات في موضوعات مجلة النهج، العدد 11، صيف 1997م، ص

² أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط1، الامارات 2008، ص128.

السهم يعاد كتابته بما يعد السهم وذلك قصد بيان العلاقة القائمة بين مكونات الجملة، حيث يحصل على ما يسمى بأركان الجملة.

ج- المكون التحويلي:

- يتكون المكون التحويلي من قواعد معينة تسمح بتحويل البنية العميقة المولدة بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى بنية سطحية وهي تخضع البنية العميقة إلى عدة تغيرات من تقديم وتأخير، وحذف وزيادة، حتى تصل بها إلى شكلها النهائي الذي تأخذه في البنية السطحية.

د- المكون الفونولوجي:

وهو الذي يحدد الشكل الصوتي للجملة المولدة في المكون التركيبي وهو يخضع لقواعد فونولوجية خاصة بكل لغة¹.

ه- المكون الدلالي:

- في هذا الصدد يرى تشومسكي أن التراكيب ليست مجرد تجاوز ألفاظ، بل إن أساس التركيب عنده يتمثل في مجموعة العلاقات المعقدة بين الكلمات حتى ولو لم تكن متجاوزة بل إن هذا النوع هو الذي يأخذ حيزا كبيرا من اهتمامه، وهذه العلاقات تمثلت عنده في مستويين: الشكل العميق أي النحو في معناه العام والشكل السطحي أي المستوى الصوتي وكل طرف في الأخير ويتلاحم معه، مع بروز الثاني على الأول.

وبعد أن ذكرنا أهم الأسس وتطور النظرية التوليدية التحويلية، والانتقادات الموجهة لهذه النظرية وأهم مكوناتها يجب أن نشير إلى نقطة مهمة وهي أن تلاميذ تشومسكي وضعوا نظرية جديدة يطلق عليها اسم "نظرية الدلالة التوليدية" وهي تعديل جذري لما وضعه تشومسكي إن التجديد الأساسي في الدلالة التوليدية يقوم على أن اشتقاق الجملة لا يبدأ بتوليد بنية عميقة نحوية، كما هي الحال عند تشومسكي، بل بتوليد بنية دلالية مجردة تعطي التمثيل الدلالي، ومن ثم تخضع هذه البنية إلى عدة تحولات يتم خلالها إدخال مفردات المعجم، إلى

¹المرجع السابق، ص130.

أن يتوصل أخيرا إلى البنية السطحية ولأن تركيب المعنى "البنية الدلالية المجردة" يسبق التركيب النحوي - عند هؤلاء- ثم الاعتماد على التمثيل الدلالي للحكم على الجمل المتلازمة دون إبطاء التركيب النحوي الأهمية التي كانت عند تشو مسكي¹.

3-قراءة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب:

- لقد تبنى محمد عبد المطلب الاتجاه التحويلي في تحديد البلاغة اللغوية، والذي هدفه من ذلك تحقيق الكفاية التفسيرية في التحليل البلاغي من خلال تجاوز مرحلة الوصف إلى محاولة الكشف عن أصل المعنى في التراكيب الأدبية، وهذا الغرض الذي أراده حاولت أن تحققه النظرية التوليدية التحويلية.

ولذا نحاول أن نتطرق على الطريقة أو الكيفية التي تقيد بها عبد المطلب في التعامل مع الفنون البلاغية في مرحلة التلقي، أي ما هي الأسس التي ينبغي أن يقف عليها المحلل البلاغي حتى يتمكن من تحقيق هذه الكفاية التفسيرية؟

- حسب عبد المطلب إن الناتج الدلالي للبنى البلاغية في علم البيان يحضر في بنيتها العميقة، يقول فيما بيانه: "تحول الأبنية في علم البيان إذا اقتصر على التشكيل السطحي، لا يقدم ناتجا متغيرا بالوضوح والخفاء، إنما التحول الحقيقي هو الذي يتم في البنية العميقة"²

وهذا المفهوم الذي جاء به عبد المطلب لعلم البيان، هو ما أشار إليه البلاغيون في تراثنا، إذ أن القزويني يعرفه على أنه: "هو علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه"³، لكن مهمة توضيح الدلالة هي مناط البحث البلاغي الحديث، أي

¹ أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، درا الفكر، ط3، دمشق 2008، ص 270

² محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة 1997،

³ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الجبل، بيروت، ج4، ص4.

أن الوصول إليها ينبغي أن يكون بتجاوز التشكيل السطحي إلى ما يسمى بالبنية العميقة على حد تعبير محمد عبد المطلب.

والذي يمكن أن نعتبره ملمحا تحديدا في فكر محمد عبد المطلب هو إشارة قوله إلى أهمّ المرتكزات التي يقف عليها المحلّ البلاغي والمتمثلة في التعامل مع البنية العميقة للتراكيب البلاغية التي تدرج تحت ما يسمى في البلاغة العربية بعلم البيان، أهمية البنية العميقة في نظر عبد المطلب أنها "تدفع المتلقي إلى التعامل الجدلي بين السطح والعمق ليذكر التمايز أو التفاضل"¹. الذي هو أساس عمل التذوق للإبداع الأدبي، ولهذا فالتحول الدلالي للمجاز والنقل والاستعارة وحتى الكناية والتشبيه مجسّم لظاهرة المواضعة في تحركها ضمن نسيج الأبنية الكلامية وهو بالتالي إفراز من إفرازات تولد المواضعة في صلب المنظومة اللغوية².

والحق إن الفكر اللغوي في الحضارة العربية وقف "من قضية التحولات الدلالية موقف النظر الذي حاول اشتقاق حقيقتها اللسانية، واستنباط مؤسساتها الأصولية بما يتجاوز حد التقنين البلاغي على نهج البيانين"³.

الوقوف عند هذا النوع من التحليل البلاغي الذي يهدف إلى التفسير يحتاج إلى حقيقة أمره إلى ملكه تتيح لصاحبها الإلمام بالأحكام الجزئية في الفن البياني، ويملك القدرة على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، ولا يكون ذلك إلا بعد طول الممارسة لأصول هذا الفن، وإدراك التمايز بين التراكيب "لا يكون إلا بتحول تراجمي، ترتد فيه الصياغة إلى منطقة المواضعة أولا، ثم مجاوزتها ثانيا، أي أن هناك بنية مثالية وهمية تقف خلف التراكيب لقياس مدى انحرافها"⁴.

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 129

² عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية الدار العربية للكتاب، ط2، طرابلس 1986، ص 224

³ المرجع نفسه، ص 226.

⁴ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 130.

فكرة الوقوف عند التحولات للتراكيب البلاغية عند عبد المطلب مستنقاة من قصور طريقة الوصف المعتمدة في إظهار جمالية وتمايز هذه التراكيب، في ظل ما أثمرته الأبحاث اللسانية، واتفاقها في قصورها، مثلما يقول أحد الباحثين: "ظل المنهج الوصفي قاصرا على تفسير القدرة الخلاقة لدى المتكلم في إنتاج عدد غير محدود من الجمل التي لم يسمعها من قبل، وكان هذا إرھاصا لميلاد المنهج التحويلي على يد تشو مسكي، الذي جهد في دراسته الطاقة اللغوية الإبداعية عند البشر"¹

وهكذا فإن محمد عبد المطلب يقر أن عمل البياني ينبغي أن يكون جوهره الكشف عن شروط إنتاج الدلالة، التي حددها البلاغيون قديما، دون أن يظهروا كيفيتها، مما يدعو إلى القول بوجود علاقة تحويلية تجمع بين مفردات هذا العلم في فنونه، من خلال وجود بنية الأساس التي تتحول إلى مجموعة من البنى بينها قدر كبير من التداخل، وأن إنتاج بنى البيان يتكئ على ما تنشؤه البنية العميقة من علاقة (الكلية والجزئية) أو العموم والخصوص)، أو (اللازم والملزوم)².

ضمن هذا المنهج يعتبر محمد عبد المطلب التشبيه بنية الأساس للاستعارة، وأنها متحولة عند ضرورة، ويعني أن الاستعارة متحولة بفضل قاعدة تحويلية (الحذف) عن أصلها (التشبيه)، الذي هو "الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ههنا ما لم على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد"³.

والنظر البلاغي في التشبيه يأخذ "طبيعة تحليلية وتركيبية على صعيد واحد، تحليلية لأنها تعاملت معه تعاملًا تفتيتيًا، تتناول كل جزئية، محددة لمواصفاتها، وتحولاتها الداخلية

¹ حليلة أحمد عميرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل

للنشر والتوزيع، ط1، الاردن 2006، ص224

² محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص135.

³ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص16.

والخارجية، وموضحة دورها في تشكيل الصورة، وتركيبية لأن البلاغيين لم يتركوا البنية على حالتها التفتيتية، وإنما أعادوا إلى صورتها حالة إنتاج المعنى¹.

وعرف التشبيه في البلاغة العربية عدة أقسام، سواء من حيث اعتبار طرفيه، أو وجه الشبه، وكذا نجد تشبيه التمثيل، والتشبيه المجمل والمفصل، والتشبيه القريب والبعيد، وتم تقسيم التشبيه حتى باعتبار الأداء، فظهرت أنواع كثيرة فيه، يصعب الإحاطة بها².

وتتبعاً لذلك، نطرح سؤالاً جوهرياً مفاده: ما هي الأسباب التي تقف وراء وجود هذا الكم الهائل من التشبيهات، المختلفة في أقسامها وأنواعها؟

يجيب محمد عبد المطلب عن ذلك في رؤيته بأن ورود الأقسام في فن التشبيه سببه عملية التولد الناتجة بفعل حضور أو غياب العناصر التحليلية، التي تنحصر في طرفي التشبيه، والأداة، ووجه الشبه، والغرض من استخدام هذه البنية، حيث إن حضور الأقسام مفاده أيضاً ما ينتاب الطرفين من تحولات إفرادية أو تركيبية، أو تحولات نوعية أو كيفية³.

نستنتج من هذا القول بأن إنتاج التشبيه يكون وفق مجموعة من التحولات التي يحدثها المبدع على طرفي هذه البنية، سواء في جانبه العقلي أو الحسي، وهذا الفهم اللساني اتجاه التشبيه يقودنا إلى القول بأن أقسام التشبيه يمكن أن تتخذ توزيعاً جديداً بالنظر في نظامها التحويلي، وهو ما وجدناه عند محمد عبد المطلب في محاولته لتحديد البلاغة العربية، أي أن النظر التحليل للأقسام التشبيهية يكون على جملة التحولات التي تحدث في بنية الأصل.

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 136.

² الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، من ص 80 إلى ص 119.

³ المرجع نفسه من ص 80 إلى ص 129.

4- أثر المنهج التحويلي في تقسيم التشبيه عند محمد عبد المطلب:

يذهب محمد عبد المطلب إلى القول بأن كل بنية تشبيه لها بنية أساس تظل تحتفظ بحضورها الدائم كخلفية تقديرية يقاس إليها كل تحول، وأن مجموعة التحولات التي تصيب البنية تكاد تكون غير منتهية¹.

بما أن التحويل أساس بناء المعنى التشبيهي في البلاغة العربية من وجهة محمد عبد المطلب فإن ذلك دفعه إلى اختزال أقسام التشبيه الكثيرة، وتوزيعها على عمودين: الأول يكون فيه بناء التشبيهات على أساس طبيعة رأسية أو أفقية، والثاني على أساس طبيعة حضورية أو غيابية.

1- بناء التشبيهات على أساس طبيعة رأسية أو أفقية:

هذا المعيار في التحديد لفت جاكبسون الأنظار إليه، فالعلاقات الرأسية، معيار خارجي تستدعي كلمات ليست حاضرة داخل النص، وإنما هي في حالة غياب، أي عن طريق تداعي المعاني بين الكلمة داخل النص، وبين قريبتها في الاشتقاق أو في الحقل الدلالي خارج النص²، وهو معيار أظهره البحث في مجال الشعر، الذي تم فيه الاهتمام بما يسمى بالأدبية.

هذا النوع من العلاقات لا تظهر قيمته منفردا إلا مع النوع الآخر، وهو العلاقات الأفقية التي تربط بين أجزاء الكلام بعضها ببعض الآخر في السياق الواحد، فهي تخضع لقانون التجاوز، وتمتاز العلاقات الأفقية بأنها علاقات حضورية كامنة في النص، وقد صاغ

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 138.

² رومان جاكبسون، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، الجامعة الإسكندرية،

جاكسون - jackobson - نظريته الأسلوب على أنه إسقاط للمحور الرأسي على المحور الأفقي¹.

وبناء على ما تتيحه العلاقات الرأسية والأفقية بقسم محمد عبد المطلب التحولات التي تصيب التشبيه في هذا المحور إلى دائرتين، هما: الدائرة الحسية، ودائرة خارج الحسية.

أ- الدائرة الحسية في التشبيه:

يكون طرفا التشبيه حسيين في الدائرة الأولى، والتي بدورها تنقسم إلى قسمين، ما يدرك حسيا في عالمه الخارجي، وإلى ما يدرك ذهنيا أي متابعة تحول طرفي التشبيه من الفردية إلى الكلية، لأن المبدع ينقل المفردات من إطارها الخارجي إلى إطار ذهني داخلي².

ب- دائرة خارج الحسية في التشبيه:

يرى محمد عبد المطلب أن التحول الذي يصيب بنية التشبيه في دائرة خارج الحسية يكون على ثلاث مستويات: إما أن يكون التحول ذا طبيعة أفقية، أو ذا طبيعة رأسية، أو أن يكون ذا طبيعة رأسية وأفقية معا.

1- تحول ذو طبيعة رأسية:

هذا التحول في التشبيه يكون فيه الطرفان عقليين أو حسيين، أو أن يكون الطرف الأول حسيا والثاني عقليا، أو العكس، كما يكون هذا التحول في البنية التي يحضر فيها الخيال، الذي لا يتحقق له وجود حالة تركيبه وإن كان لمفرداته تحقق حسي ويسمى التحول خياليا، ويحضر أيضا في البنية الوهمية التي لم تدرك مفردته بالحواس، ويكون كذلك وجدانيا الذي يمكن إدراكه بالقوة الباطنية³.

¹ عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، ط4، القاهرة 1993، ص140.

² محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص137-140.

³ المرجع نفسه، ص 142

التحليل البلاغي لهذه الصورة التشبيهية يتطلب إدراك تفاصيلها للوقوف على تكوينها ولن يتحقق ذلك إلا بالوصول إلى المستوى العميق بحكم أن الصورة الأخيرة للبنية تخضع لتحول رأسي على بنية السطح، حيث إن إدراكها يحتاج إلى حركة باطنية موازية من طرف المتلقي، لأن نماذجها مصنوعة من قوة باطنية، مخيلة ومفكرة، ينتظم عملها داخل العمق النفسي¹.

2- تحول ذو طبيعة أفقية:

عرفه عبد المطلب (إنه تحول يصيب طرفي التشبيه، على مستوى التشكيل الصياغي، ويختص بحالتي الأفراد والتركيب)²، معنى هذا أن التحليل البلاغي يتخذ حركة أفقية في التعامل مع البنى التشبيهية من خلال الوقوف على أنواعها المتمثلة في تشبيه الفرد بالمفرد، والمركب بالمركب، أو أن يكون أحد الطرفين (المشبه) مفرداً والآخر (المشبه به) مركباً، أو أن يقع العكس، ومثال المركب بالمركب، قول بشار بن برد:

كَأَنَّ مَثَارَ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

فالمشبه هو مجموع الغبار والسيوف المتألقة في خلاله والمشبه به هو الليل الذي تتهافت كواكبه، إذ لم يقصد تشبيه النقع بالليل والسيوف بالكواكب، بل عمد إلى تشبيه هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها، وهي تعلق وترسب وتجيء، وكذا إلى هيئة الكواكب في تداخلها³

ولهذا يرى محمد عبد المطلب أن هذه التحولات الأفقية في التشبيه تستمر من حالتي الأفراد والتركيب إلى التعدد، والفرق بينهما أن الأول يعتمد على الوعي الكلي بمفردات الوقع،

¹ المرجع السابق، ص 143.

² المرجع السابق، ص 144.

³ أحمد مصطفى المراعي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط3 بيروت 1993، ص 217.

وتجسدها في الطرفين، أما الثاني فيعتمد على الإدراك الجزئي الذي يحافظ على خصوصية كل عنصر حالة في تشكيل الصورة¹.

3- تحول ذو طبيعة رأسية وأفقية:

هذا التحول يجمع في عمله بين الطبيعة الرأسية والأفقية معاً، وصوره: أن يكون التشبيه فيه على مستوى المعنى في الطرفين، على نحو التشبيه الذي يجمع بين معنى الشجاعة في الطرفين مثال قولنا (علي كالأسد)، والمحلل البلاغي يوجه عمله في هذه الحالة أفقياً بغية رصد تكوين كل طرف من خلال الأفراد والتركيب، كما يوجه رأسياً بحثاً عن البعد المستهدف من تشكيل الصورة، ومن صور هذا التحول تشبيه صورة بمعنى ومعنى بصورة².

2- بناء التشبيهات على أساس طبيعة حضورية أو غيابية:

- تتعلق ثنائية (الحضور/الغياب) بالأطراف الأربعة المكونة للبنية التشبيهية، وحاول فيها عبد المطلب إدراج التحولات التي تصيب هذه البنية من خلال حضور طرف، وغياب طرف آخر، ورأى أن البناء التشبيهي بهذه الطريقة يمكننا من ضم ستة عشر تشبيهاً، وفق عملية التتبع وطرح الافتراضات الممكنة التي تحتملها الصياغة³.

الحضور/الغياب يتعلق بأطراف التشبيه (المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة) أي أن العملية التحويلية التي يجريها المبدع من أصل الكلام لصناعة التشبيهات تتم وفق الثنائية بحضور ثلاثة أطراف وغياب الرابع، وهكذا وفق الاحتمالات الممكنة.

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص 143.

² المرجع نفسه، ص 145.

³ المرجع نفسه، ص 145.

تيقنَ عبد المطلب إلى أن "التحويلات تسمح بحضور كل طرف سبع مرات بصفة منتظمة، وغيابه ثمانية مرات بصفة منتظمة أيضا، وهو ما يعني أن الغياب يأخذ الأولوية في بناء التشبيه، بل إن من الممكن غياب جميع الأطراف"¹.

والملاحظ أن محمد عبد المطلب لم يتقيد بمشكلة التفريع في التشبيه التي انتقدها المحدثون، بل بحث عن أقسام جديدة لهذه البنية في تحولاتها الأفقية والرأسية، وكأنه بهذا النهج يؤكد أن كثرة الفنون البلاغية ليست عيبا في البلاغة، بل ذلك من خصوصية اللغة العربية.

- التحليل البلاغي للصورة التشبيهية:

- يتبين مما ذكر أن التقسيمات الجديدة التي جاء بها عبد المطلب في تعامله مع البنى التشبيهية - تبين أن التحليل البلاغي ينبغي أن يتجاوز المستوى السطحي، يقول فيما بيانه: "التأمل المنصف يدرك أن تحليل الصورة يحتاج -دائما- إلى تجاوز مستوى السطح، والتعامل مع الأعماق التحتية، فقد يكون للمبدع توجه غالب للتعامل مع الواقع الخارجي، فيشكل منه مجموعة أبنيته التشبيهية بالاتكاء على المفردات التي تستوعبها رؤيته، وقد يكون توجهه خالصا للتعالي على الجزئية المحدودة، والتحليق في اطر الكليات، ومن ثم يتجاوز مفردات الواقع في جزئيتها المتكاثرة، والتعامل معها جماعيا، وهذه الجماعية لا تجد لها محلا إلا في الذهن"²، وهو ما نقف عنده في النموذج التحليل التالي:

5- تحليل الصورة التشبيهية الحسية عند عبد المطلب (نموذج):

- من أجل توضيح رؤية محمد عبد المطلب بخصوص الكيفية المثلى التي تمكن من تحليل الصورة الحسية، والتحويلات التي تصيب بنية التشبيه فيها، ينقل عبد المطلب قول الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي في (مصايح الشوارع):

¹المرجع السابق، ص152.

²المرجع السابق، ص139.

والمصابيح في غبش الفجر تنزف أضواءها الباقية
خرزا يتحدر متئدا كدموع المهرج، مختلطا بالبياض

في تحليل هاته الصورة: "نجد أنه اعتمد في إنتاج الشعرية في هذا الجزء المقتبس على البناء التشبيهي الممتد الذي تبدأ فعاليته مع مجموعة التحولات الدلالية، حيث يتم نقل (بقايا الضوء) وهي ظاهرة حسية متهالكة، إلى كم من (الخرز) وهو محسوس آخرة قابل لهذه البقايا، ثم يستمر التحول من (الخرز) وصولاً إلى بؤرة الثقل الدلالي في (دموع المهرج) التي تجمع المفارقة الوجودية في تضافر الحزن والفرح على صعيد الإدراك الشعري"¹.

الملاحظ في هذا النهج في تحليل الصورة أن عبد المطلب تجاوز الطريقة التقليدية المعروفة، التي يتم فيها التركيز على بيان وجه الشبه وطبيعته، إذ حاول في التحليل السابق أن يبين دور المبدع في تحويل جزئيات العالم الخارجي المدرك بالحواس، إلى إطار ذهني داخلي، أي الكشف وتفسير البناء التحولي في تراكيب المبدع، وهو تحليل أساسه والوقوف على البنية العميقة لأي تشبيه يستعمله المبدع من أجل تحقيق الإيضاح.

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، ص 140.

خاتمة

- التشبيه فنٌ جميل من فنون القول، حيث تضمن أقساما وأنواعا متعددة وغاية هادفة ومنزلة معتبرة وقيمة فنية متحصل عليها، وكل هذه المضامين نستخلصها من خلال البحث والتي تمثلت في أن التشبيه هو اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يسد مسد الآخر، أو هو أسلوب يدل على مشاركة أمر لآخر في صفته الواضحة؛ ليكتسب الطرف الأول (المشبه) من الطرف الثاني (المشبه به) قوته وجماله، أو هو إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما - وهو الطرف الأول (المشبه)- مشابهاً للطرف الآخر، في صفة مشتركة بينهما، وله أدوات عديدة تربط بين الطرفين سواء كانت حرفا (الكاف - كأن..)، أو اسماك (مثل - شبه - نظير...)، أو قد تكون فعلاً كـ (يحاكي - يشبه - يماثل...)، والبلغاء سلكوا طرق مختلفة في تقسيمه، وذلك باختلاف لون ثقافتهم ونظريتهم العلمية و الفنية، كما أنها تعددت أنواعه فتمثلت في التشبيه التمثيلي والمقلوب والضمني وغيرها من الأنواع، ويُقصد التشبيه لتحقيق غرض بياني فكري أو جمالي، أو فكري وجمالي معاً، كما أنه أشبه بوسائل الإيضاح ونماذج الدروس التي تسبق الشرح أو يعقب عليه، وفي هذا البحث تطرقت إلى القرآن الكريم وما جاء في آياته من تشبيه وذلك لغاية تضمنتها النصوص القرآنية، وعليه فإن التشبيه باب واسع والباحث فيه يتذوق لذة ويستمتع بروعة التشبيهات وجماليتها وحسن نسجها وفيما تهدف إليه من غايات وفوائد جمة لهذا نجد التشبيه موجوداً لدى كل الأمم والشعوب، وفي كل لغات الناس فصيحها وعاميها.

وفي بحثي هذا استخلصت بعض النتائج التي أذكر منها:

- ضرورة إعادة قراءة التراث البلاغي بنظرة جديدة تستلهم مقولات الدرس اللساني الحديث وبأدوات جديدة تحقق له شرعية وجوده وتطمح إلى تطويره.

- تعددت المفاهيم والتقسيمات للتشبيه عند البلاغيين العرب القدامى.

- التشبيه يزيد المعنى وضوحاً، ويُكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب عليه، ولم يستغن أحدٌ عنه.

- أصبح من الضروري إعادة قراءة التراث البلاغي بنظرة جديدة تستلهم مقولات الدرس اللساني الحديث.

- انطلق البلاغيون القدامى في التأسيس للمباحث البلاغية من مفهوم تحويلي يشابه ما رأيناه عند تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية.
- يسهم التحليل البلاغي للتركيب التشبيهي وفق نظرية تشومسكي، الوقوف على أسرار هذا التركيب ومعرفة بنيته العميقة التي أغفلها الدارسون والمحللون للبنية الإبداعية.
- الوقوف على البنية العميقة لأي تشبيه يستعمله المبدع من أجل تحقيق الإيضاح.
- لم تكن تقسيمات البلاغيين للتشبيه بنظرة سطحية بل كان ذلك وفق تأمل عميق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

المراجع

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ط1، الإمارات 2008.
2. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، درا الفكر، ط3، دمشق 2008.
3. أحمد مختار عمر، محاضرات في علم اللغة الحديث، ط1، عالم الكتب المصرية، القاهرة، 1995م.
4. أحمد مصطفى المراعي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1993.
5. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003.
6. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد، ط1، دت، دار القدس للنشر والتوزيع، .
7. ابن جنّي، الخصائص، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت 1989.
8. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوي، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية 1985.
9. حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، الأردن 2006.
10. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، الكتاب الجديد، ط3، تونس 2010.

11. حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، دط، دت، القاهرة.
12. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عبد المنعم الخفاجي، دار الجبل، دط، دت، بيروت.
13. خوجة إبراهيم، قراءة جديدة في نظرية تشومسكي، الجامعة الأردنية، 2010.
14. الرماني، أبو الحسن عليّ بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، ط3، مصر، 1976.
15. رومان جاكبسون، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة، دط، دت، الجامعة الإسكندرية.
16. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، ط3، مصر، 1983.
17. سمير شريف استيتسة، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الاردن 2005.
18. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط9، دت، القاهرة.
19. طاهر الجزائري، حديقة الأذهان في حقيقة البيان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دط، دمشق 2009.
20. عائشة فريد، البيان في ضوء الأساليب العربية، حسين فريد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، القاهرة 2000.
21. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، ط4، القاهرة 1993.

22. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية الدار العربية للكتاب، ط2، طرابلس 1986.
23. عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت 1985.
24. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، بيروت، منشورات عويدات 1986.
25. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1999.
26. عبد الله جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2004
27. أبي عبيدة، مجاز القرآن مكتبة الخانجي، القاهرة، (د ط)، 1381هـ.
28. العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1989.
29. علي الجندي، فن التشبيه، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، ط2، مصر 1386_1966م.
30. فائقة الصادقي، نظرية تشومسكي في القواعد العامة، مقدمة القارئ العربي، جامعة البحرين.
31. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، د ط، 1424هـ- 2003.

32. مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق 1987 م.
33. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية، قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، القاهرة 1997.
34. محمد علي الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ، ط1، الرياض 1981 م.
35. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.
36. ميشال زكريا، الألسنة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1986.

المجلات:

1. ياسين الحاج صالح، اللغة والفكر، مجلة النهج، العدد 11، صيف 1997 م،

فهرس الموضوعات

أ.....	مقدمة
1.....	مدخل
	الفصل الأول: التشبيه في الموروث البلاغي العربي
7.....	1- التشبيه في الموروث البلاغي العربي:
8.....	1-1. التشبيه في المعاجم اللغوية:
8.....	1-2. دلالة التشبيه اصطلاحاً:
9.....	1-3. التشبيه عند أبي عبيدة:
10.....	1-4. التشبيه عند الرماني:
12.....	1-5. التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني:
	الفصل الثاني التشبيه في ضوء النظرية التوليدية التحويلية
30.....	1- النظرية التوليدية التحويلية:
30.....	1-1. نبذة عن حياة تشو مسكي (Chomsky):
30.....	1-2. تعريف النظرية التوليدية التحويلية:
31.....	1-3. أهم أسس النظرية التوليدية الحديثة:
32.....	1-4. من أهم القواعد التحويلية:
36.....	أولاً: منهج المباني التركيبية:
36.....	ثانياً: المنهج المعياري:

37.....	ثالثا: المنهج المعياري الموسع:
37.....	خامسا: المنهج الدلالي التصنيفي:
38.....	سادسا: منهج الربط العاملي:
38.....	2-الإطار النظري للنظرية التوليدية التحويلية:
41.....	3-قراءة في كتاب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" لمحمد عبد المطلب:
45.....	4-أثر المنهج التحويلي في تقسيم التشبيه عند محمد عبد المطلب:
45.....	1- بناء التشبيهات على أساس طبيعة رأسية أو أفقية:
46.....	أ- الدائرة الحسية في التشبيه:
46.....	ب- دائرة خارج الحسية في التشبيه:
46.....	1- تحول ذو طبيعة رأسية:
47.....	2- تحول ذو طبيعة أفقية:
48.....	3-تحول ذو طبيعة رأسية وأفقية:
48.....	2- بناء التشبيهات على أساس طبيعة حضورية أو غيابية:
49.....	-التحليل البلاغي للصورة التشبيهية:
49.....	5- تحليل الصورة التشبيهية الحسية عند عبد المطلب(نموذج):
52.....	خاتمة
54.....	قائمة المصادر والمراجع
58.....	فهرس الموضوعات

61.....: الملخص

المخلص:

- يهدف هذا العمل إلى الاطلاع على جهود البلاغيين القدامى في تناولهم للتشبيه وكذلك محاولة مني لإعادة قراءة التراث الإسلامي وهذا ما تجلى في الفصل الأول، ثم في الفصل الثاني تطرقت إلى مسألة التحليل البلاغي من الوجهة التحويلية من خلال مدونة محمد عبد المطلب "البلاغة العربية، قراءة أخرى" وكذلك ربط التشبيه باللسانيات من خلال النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي والغاية من هذا العمل هي الوقوف على فن التشبيه في موروثنا العربي القديم والحديث.

الكلمات المفتاحية:

- التشبيه، البلاغة، اللسانيات، النظرية التوليدية التحويلية.